

892.74:A162rA

ابوقوس ، عبد الرحمن

رسالة الاديب

892.74
A162rA

~~20~~

~~00-29~~

~~DE 15~~

~~Feb 1 '56~~

~~Feb 5 '58~~

~~DEC 20 '60~~

~~JAN 4 '67~~

~~JAN 15 '81~~

~~JAN 19 '82~~

~~APR 10 '82~~

~~APR 28 '62~~

~~MAY 26 '62~~

~~MAY 26 '62~~

~~18 May 67~~

~~22 May 67~~





عبد الرحمن ابوقوس

الحمد لله الذي جعل هذه النسخة
من الكتب النادرة في
العلم والدين

ص ١١ / ١١٤٤

عبد الرحمن ابوقوس

89271

A 162riA

رَسَالَةُ الْوَلَدِ

Handwritten text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is faint and difficult to decipher but appears to include a date and some descriptive phrases.

كتب عبد الرحمن أبو قوس

المنشورة

ثورة العبيد	شعر	المطبعة المصرية ١٩٣٨
طلسم الحياة	نثر	المطبعة الوطنية ١٩٤١
بافوس	نثر	المطبعة المصرية ١٩٤٣
مركب الفكر	شعر	المطبعة المصرية ١٩٤٤
الرائد الأدبي	نثر	مطبعة الشباب ١٩٤٤
رسالة الأدب	نثر	المطبعة المصرية ١٩٤٤

ويصدر قريباً

عشر سنوات في خدمة صاحبة الجلالة « الصحافة »

وهو مجموعة نوادر وحوادث مسلية جرت للمؤلف خلال قيامه

بواجبه الصحفي في مدة عشر سنوات

الهداء

إنه هديتي من الحياة . . .
فهل أجدر من الحياة به ؟ !

المؤلف

المقدمة

هذا كتاب !

لا اكتم القارى اني احبه !

بل لا اكتمه اني تحملت في سبيل الفراغ منه ما لا

استطيع وصفه !

(هو مجموعة صادقة لنظرات مغلصة في هذا المجتمع
الذي نحن غرقى للجنة !

هو صدى حسرات ليست غريبة عن اى ضمير ،

هو حقيقة مكتوبة ..

بل هو اكثر من حقيقة مكتوبة ، لأنه حقيقة

مكتوبة بدموع ...

انا لا يبكينى أفسى مشاهد الحياة ، ولكن

دموعي تتفجر إذا انا شغرت بالاغلال تحول دون

اندفاعي نحو ما اقدر ان احققه ...

بهذه الدموع كتب هذا الكتاب . . .
وبهذه الدموع سينتهي كل قارئ لهذا الكتاب ..
وهذه الدموع لم تقف بعد الفراغ من هذا الكتاب ...
فإن كتباً كثيرة يمكن أن تكتب بتلك العصارات
التي تصبها الروح فوق مثل هذه الوريقات !

. . . .

ما أحقرني إذ انخراني أضع كتاباً . . .
وما اصغرني إذ أتيه زهواً كلما رأيت كتابي في
عين قارئ يطالع
انني بهذا الفخر وهذا التيه اشعر بانتهاء مهمتي . . .
لأن مهمة الكتاب ان يعكس ما في نفس الكاتب
فيطبعه على مخيلة القارئ ، او يحفره في اعماقه !
يا للأدب . . . ما اكثر المفترين عليه من الادباء
إن الأدب الحقيقي لا يعرف النهاية . . .

ولا الفراغ ... ولا الاكتفاء ...

الأدب الحقيقي الصادق

هو :

نبلة منطلقة من ضمير حي ومسددة بدهاء الى ضمائر

متخدرة !

والأدب الحقيقي الصادق

هو :

صور صادقة لدينا مرض ابنائها بالانانية فقام لها

طبيبها الأديب !

فالويل للأدباء من الأدب

اولئك الذين جعلوه قرطاساً تتداوله الايدي ، أو

صوراً تزين به المكاتب ، أو شراكاً لاصطياد الالقاب

الزائفة ، أو قصصاً يقتل بها الوقت المهدور !

هؤلاء غداً عندما يصحوا الضمير الانساني

الويل لهم من الأدب

لأنه :

سيحتفل بجنارة نتاجهم
وسيتحرر من تيجانهم المماعة
وبصوت جهوري سيصبح بهم:
أيها الأدباء انتم بعض عوامل الانحطاط الاجتماعي،
لأنكم تحولتم في ذلك الادب المائع الى افيون يخدر
الضمير الهزيل !! ...

ماذا سيجيبون ؟

لست ادري ...

ولكن الذي ادريه، بل اتكهنه، انهم سيشتد كون
مع يقظة الضمير الاجتماعي في حفلة النور التي ستقام
لتشييع جنازة أثرهم الهزيل !! ...

...

الذين ما زالوا غارقين في الأوابد ...

في القديم :

من الشعر ، والشعراء ،

والنثر ، والنثريين ،

والخلود ، والخالدين ،

والحكم ، والحاكمين ،

والأسس ، والمؤسسين ،

متى سيدركون ان الأبد لا يمكن ان يرفع على
اطلالها المدرسة بناء المجد الانساني المرتقب ، وان عدة
الزمان الغابر قد استبدلت فاعادت تصلح لبناء كوخ
من اكواخ الأرواح المتعطشة الى الخلق والابداع ؟ !
متى سيدركون ان البئر المهجورة التي عشت فيها
نخرهم المتهرىء لم تعد صالحة لارتواء الجيل الصحيح الذي
لا ارتواء له الا من بئر حفرته سواعده واحلامه ،
وطموحه ، واهدافه .

بوركت ايها الجهل . .

انك محط قناعتى الى ان

تنبثق الانوار الجديدة من

مواطى اعمال المجددين، حيث

يتاح لك ان تشهد عرساً

لاحلامك لا يشوبها شيب

الارث ولارث التاريخ القديم

اما انتم يا من رضيتم من الحياة بلقب يرفع هذه

الرؤوس فوق مناكبكم ... انتم خذوا حصصكم مما

استجديتم وانتحوا ناحية ...

ليكن مستقركم على تيجان من ذهب

أو :

على قهقهات الدهر الساخر الشامت!

فان طريقنا غير طريقكم

لا أن :

ينبوعنا غير ينبوعكم ...

وان مستقرنا غير مستقركم

لأننا

لا نستجدي ... وإنما نفرض ما نريد .

...

اضحك ... اضحك ... ايها الاديب !

ان الضحايا من المنتحرين باندفاعهم ، ومن

المنتحرين بغرورهم يفسحون المجال لرسالتك

لتتسلل مع الفسق . وغداً ستحتل مقلة

الشمس فتتير ...

ايها الاديب :

انت الذي اتحدث عنك ، لا اولئك الذين يفخرون

بأنهم ادباء ...

اكتشفتك ؛ عرفتك ؛ وها انا معلن عنك ؛ ناقلك

الى اعماق الواعين ، بل ناقل بعض انوارك اليهم ، علمهم

بهذا كيهتدون ...

واين عثرت عليك ؟ ! ...

في الطين حيث أضل الكبرياء كثير أمن الجواهر ...
أنا لست أياك الذي أصفك ...

هيهات ... هيهات ان اكونك ...

ارضاك ... ارضي آلامك ... ارضي كل ماتعانيه
من شقاوة وتعاسة ، في سبيل ان اكونك ، لان الدفعة
التي اجرتها معرفتك اوحث الي هذه الوريقات ... فلو
كنتك لما تركت لك وحدك المشعل الذي توقده منيراً
طريقك الى نفسك ، بل لملته فوق الرؤوس ، ونصبته
فوق التيجان ، وتركته ناره تنصب لتحرق كل من لا
يؤمن بك ... بل كل من لا يسعى لتحقيق الغاية من
إيمانك بنفسك ..

أيها الأديب :

انك لست أياك ... انت اللحم والدم ، لست القلم
والقرطاس ...

انك صدى القهقهة العريضة التي ترسلها شمامة الشر

عندما ترى انوار مُثلك العاليا تجبو فتتكسف شمس
السعادة في دنياك

لهذا انت كنز عظيم اذا اكتشفت ...

قوة قاهرة اذا اشتهرت ...

دين قويم اذا اُعمت ...

ناضل ... ناضل ...

بجسدك الذي تنحرم في ماخور دنياك ...

فان روحك تتسلل مع الغسق لتحمل مقلة

الشمس فتنير .

...

قارئي العزيز :

هذا بعض ماهمسته معرفتي لهذا الاديب

اقدمه لا ككتاب

فما هذا الذي بين يديك كتاباً ...

انه قبس من رسالة ذلك الاديب

وقد ضللت اذ قدمته اليك . . .

وقلت لك :

هذا كتاب . . .

٩٤٤ / ١٠ / ٢٤

عبدالله محمد بن فارس

١
كتابك الذي ارسلته اليّ قبل اسبوع الآن القيته من

يدي !

إنه كتاب طريف !

اعجبني منه جلدك على كتابته من اجل انسان لا يعبأ
كثيراً بمن يكتبون اليه !

كيف جمعت حواسك زهاء ساعة في شكلي ، تصوري
هكذا كما لو كنت امامك ، لتكتب عني كل هذا الذي
كتبته !

أتدري ؟ ! كتابك هذا اول كتاب قرأته !

حسن جداً عملك !

لقد اردت ان تصورني كما عرفتني فأهديتني انساناً
جديداً خيّل اليك انه انا؟!

ليس هيناً ان تمكتشف النفوس والارواح بهذه
السهولة!

أظن انك عمدت الى الاسهاب في كتابك على الاطالة
في البحث توقع الحقيقة ولو صدفة بين السطور .
انا مبشرك انك لم تحظ بالحقيقة حتى آخر حرف
خططته!

ماذا تريد من هذا الكتاب المطول؟! وفيم كتبتة؟!
أكتبتة لتحرك في شهوة الكتابة؟!
انا ابغض ان يكتب الي ، لأنني ابغض ان اكتب
الى الناس.

ان كل ذي روح كتاب من الطبيعة ، تؤلفه الشهوة ،
وتطبعه الحياة ، وتنشره الأيام ، ثم تدرسه وتدرس ما فيه
من حكم وجهل اكف الموت!

العاقل من اكتشف ما في كتابه قبل ان يكتب الى
الموت !

قد تكون انت الموت يا من تدعي معرفتي وتكتب
اليّ ، وانت تعرف فيّ سأم الخلوّة بالاشخاص !
انا حتى اليوم لم افكر ان اتزوج ، بل لم افكر ان
اجتمع بامرأة خوف ان يضطرنني حي لها لان اخلو بها
بعض ساعات فيشغلني جمالها عن الطبيعة بكاملها ! فكيف
تريدني ان اخلّي بكتابك ، فأقرأه ، ثم بشخصك فأكتب
اليك ؟ !

ومن أنت ، بل من هم كل الذين يحملون مني بكتاب ؟ !
مسكين انت ، لقد ظننت ان الذين يمتزلون بأرواحهم
يمكن ان يشغلهم اشخاص عاديون مثلك !
كتابك شوّه جزءاً من روحي !

انت مجرم لأنك جعلتني افكر بك نصف ساعة !
نصف ساعة من الصفاء اتعلم كم تساوي ؟ ...

انها تساوي انتاجاً صامتاً لا يعدله إنتاج

ارأيت كم انت مجرم بالنسبة إليّ؟

لا . . . لا ايها الصديق!

لست انت الذي يستطيع ان يجتذبني بكلام منمق

جميل! . . .

إن جميع ما ذكرته من الروابط الروحية التي

اصبحت مقدسة ليست الا رمزاً لخيال . . . إن هذه

الصفات ، والنزعات ، ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة لغنى

النفس وسمو الروح!

الاخلاص الذي تدعيه لا يهمني كثيراً . . .

انك لولا حاجة لك عندي ما شعرت بهذا الاخلاص

لشخصي!

أرى لولا انك ترغب بالكتابة اليّ أكنت تحتاج

الى التحدث عن اخلاصك؟!

مالي ولا اخلاصك؟

اني ما دمت في غنى عنك ، لا يهمني اخلاصك ،
ولا يعجبني ما تعانیه من اجلي ! ...
خذ عني الصورة التي تحبها ! .. بل صورني للناس
كيفما شئت

اني لا اعيش لهم - ولاء الناس الذين لا يعرفون الا
الاجساد .

انا اعيش في عالم علوي لا اشعر فيه بكياني ، لاني
لا اعيش هنالك لروحي التي تحدثني مسرفة ، واصغي اليها
مسرفاً ، حتى يخالي من يشاهدني غارقاً في التأمل ، مجنوناً
ذاهلاً عن حقائق الوجود ! ...

تقول انك جدّ معجب باسلوبي في الحياة !
ما اسخفك ؟ !

ان اسخف الناس من يكذب على نفسه ! ...
ان عزائي في هذا الاندماج مع الناس تعجيبك ؟ !
تقول اني اعيش بجسدي مع الناس كأني واحد منهم .

وانني اعتزل عن صحبتهم بروحي كأنني غريب عنهم؟!
أرى سخفك؟!!

انك تكذب على نفسك كما قلت لك!
لأنني انا... انا الذي تخيلني كما تقول، لا يمكنني
ان اكتب عن نفسي هذا الذي تقوله... حتى ولو كان
حقاً...

إنني أكاد اتبرم بوجودك، لا بكتبك!
إنك متطفل على روعي... تتحدث عنها بلا
استئذان، ان روعي تريد اللجوء الى الهدوء... الى العزلة
عن الذين عرفوها... عليها تجهل انها موجودة... ان
وجودها في خضم لجب من امثالك يعريها من سموها،
لهذا اتبرم بك وبامثالك!...

أتركني... أهجر القلم، أهجر القرطاس، لا تكتب
إلي لا تفكر بي... اني انسان اريد ان اعيش كما لو كنت
ميتاً أشعر بوجود الجميع، ولا يشعر بوجودي احد!

اعرفت ماذا اريد؟ ...

الذي يجب بمثل هذه الحياة لا يزعج مالكمها! ...

لا ترعيني باحاديثك ورسائلك! ...

اني اكره ان اقرأ ...

اني اكره ان اسمع ...

اني كدت اكره ان ارى ...

لأن القراءة والسماع والنظر مبعث لاندماجي بهذه

الحياة ، واستيحائي منها! ...

كل هذا حدود ... ونفسي تبغض الحدود ...

انس انك تعرف انساناً اسمه «انا» اهرج التفكير

بي واذا الحت ذاكرتك ان تذكرني فاذا كر

ما تعرفه عني من سخف من فوضى من معايب ...

علّ هذه الصور تبغضك بي فاستريح منك! ...

... لا . . . لا . . . لا يمكن ان اكون ذلك الهادي

الذي يرشدك الى سمادتك ولن اكون ...

انني لو املك المشعل الذي يهديك الى سمادتك لا طفاته
دونك ...

لا تسلني لماذا ... أنا أمل أن اجيب ...
لأنني احتقر نفسي إذ أكتشف الدواء وأعجز عن
تقديم العلاج ...

لهذا يكفي أن تعرف أنني أبغضك ! ..
لا لأنك أزعجتني ... ولا لأنك حدثتني وأرغمتني
على الحديث؛ بل لأنك واحد من هذه المجموعة التي تشعر
بحاجتها الى مثلي ليملاً فراغ روحها ...
ماذا تريد أن أقول لك بعد هذا كله ...

أدركت دون شك أنني لن أحدثك ابداً بعد هذا
وإن كل ما ستلقيه بين يدي من رسائل سيكون نصيبه
الاهمال ...

لله دركم أيها الناس ... أنكم لا تضنون بازعاج أياً
كان في سبيل قبسة من نور تحملون أن تلوح لكم من

بين ثنايا من ترعجون ...

انكم انانيون ... حتى اذ تتخيّلون انكم تعيشون
للمثل الأعلى ... لأنكم لا تقرون بوجود هذا المثل الأعلى

الا حين تفتقرون اليه ...

لن اودّعك ... لأنه لا يهمني ان اراك ثانية .

او اسمع اليك ...

بل قد يهمني ان لا اراك ، وان لا اسمع اليك

علي لا اقرأ لك ...

ابدأ ...

ودائماً ابدأ ...

تقول ان صراحتي اعجبتك في كتابي الاول ...
 بيا لك ما اسخفك ... انني لم اكن صريحا
 معك . . .

انني كذبت عليك في كل ما قلته . . .
 تحدثني نفسي انك اوقع مما تصورتك
 فانت اذ تدعي انني صارحتك لا تمنع نفسك عن ان
 تزعجني بما صارحتك كراهيتي له . . .

فيم تكتب الي ؟ ! . . .
 اتظني لا اعبأ بالوقت ؟ !
 انكم خاطئون جداً اذ تحسبون وقت الادباء لا

قيمة له !

انك تدعوني لأن اقرأ كتابك في اوقات الضجر ،
حيث امل التأمل والامترسال في الاحلام ؟ !
ما اجهاك . . . لو لم تقل هذا لظننتك تشعر شعور
الأدباء ولو قليلاً

إن الادباء لا يملكون حتى حق التصرف بأوقات
ضجرهم

انهم اذ يسترسلون الى النوم تتحرك بهم عقولهم
الباطنية فتعمل بلا كلل ، واذ يسترسلون الى التأمل تشتغل
عنهم احلامهم ، وافكارهم . . . واذ يملون ويضجرون
تعتمد آلامهم على جمع الصور المؤلمة التي تكون لهم وحي
ما بعد الضجر والسامة

ارأيت ان كتبك السخيفة لا وقت لها في حياة
الادباء ؟ !

انها عندي الآن كهذه الوجوه الدميمة التي تشوه

الرصيف المرصع بالجبال الساحر الفتان .

لا درّ درّك ايها الانسان العجيب . . .

إنك لا تعلم ان تزعج مثلي . . .

والآن . . . بعد ان اوثقت باغلا لك ، واصبحت

احبك محبة ابن المعتز للقميص . ماذا تريدني ان افعل بك . . .

أأكتب اليك كل يوم ؟ ! . . .

هذه جناية بالنسبة إلي . . .

لو انني كتبت اليك ، وقرأت لك كلما شئت انت ،

ماذا أنتظر ان احصل من فائدة ؟ !

إننا معاشر الادباء لسنا ماديين نسعى وراء المال ،

ولكننا نسعى وراء الهدف الروحي !

ان كل خطوة من خطواتنا تستهدف غاية معينة من

الغايات التي تكون المثل الأعلى .

فما هي الغاية التي تريدني ان اشعر بها في الكتابة إليك .

هذه الروابط الروحية التي تحدثني عنها ، ليست

روابط تستحق ان تكون شاغلاً لأديب ! . . .
ان الاشخاص ليسوا اكثر من صور تمر امام العيون ،
ولسكنها لن تدخل القلوب ، ولن تشغل العقول .
إن رؤوس الابداء يسكنها كل شيء طاهر او قذر ،
من الاعمال ، ولكن يجب ان تثق جيداً ان ليس فيها
سرير واحد ، لأنسان واحد ! . . .

✓ ان الابداء دائماً يلجأون الى عمليات الصهر ، هم يحولون
كل وجه الى فكرة ! وكل جسد الى رأي ! ثم يعملون
زناد عقولهم لاستخراج الدواء الشافي .

✓ انهم يلقون بالعلاجات كما يلقي البستاني بذرة الكينا
ولا يعرف اي مريض سيتناولها فيشفي .

هكذا نحن لانهم الاجساد ، ولا الاشخاص ، لأننا
لا نعيش لهم !

ان غاية حياتنا عملنا المستمر ، لا المستفيدين من
عملنا المستمر !

لأننا سنعمل ، سواء أفدنا ام لم نفد ! . . .
فلا بد من يوم تشعر الحقيقة فيه اننا ساهمنا في ازاحة
الستر عنها ! . . .

انك تدعي ان حياتي تشبه الأدب الرمزي ! . . .
لها صورة الجسد (الالفاظ) ولها صورة الخفاء (الروح) .
انك تقول ان ابتسامتي لا تدل على الابتسامة ،
وسخريتي لا تدل على الازدراء ، وغضبي لا يدل على المقدمة
وفرحي لا يدل على الغبطة ! . . .

يظهر انك عرفتني بعض الشيء
ربما كانت انقلابات عاداتي هي التي اوحت اليك بعض
حقائقي !

نعم ! . . . انت تراني دائماً امتدح من ابغض ، وانتقد
من احب ! . . .

هذه ظواهر أوحت اليك ما قلته عني !
إنك اجدت الوصف ، كالرسام ! ولكنك لم تحسن

المعرفة كالفيلسوف ! ...

انني كلما حاولت ان ارفض السماع ازداد حباً بذلك !
اترى كيف ان السخافات لها مكان من ارواح الادباء
ليست سخافة ان اقرأ اليك ، بل السخافة ان اكتب
من اجلك . انت الذي تريدني أن اعتقد بنفسي كما تصورها
أنت ! ...

ان الادباء لا وصف لهم بوصفون !
هم دون الوصف وفوق الوصف ! لهذا يستحسن
اهمالهم ، والعناية بما يلقونه من كلام ! ...
انك كما تعجب بي ! ... هكذا ... حراً طليقاً
من تقاليد المجتمع ، لا يهمني مديح ولا نقد ، ولا يزعجني
حب ولا بغض ، ولا يغريني منح او حرمان ، ولا يشجمني
اقبال او اعراض ، هكذا كذلك اعجب انا بهؤلاء الناس
الذين يهمهم كل ذلك لأنهم جماعة لا يعملون ليكوتوا
لأرواحهم فراغاً في اعماق الناس ! بل يعملون ليكوتوا

اجساداً ضخمة المظاهر لها مقاعد فوق الرؤوس .
ان ما يعجبك فيّ ، ليس صعباً مراسه ، او تعوده !
ولكن ما يعجبني بكم هو الصعب كل الصعب ! ...
قد تكون متطلبات البقاء هي نفسها الاعمال التي
تربط الانسان بالانسان .
ولكن البقاء ليس غاية ... بل لم يعد غاية بعد ان
رقى الانسان واصبح محباً للاستقلال ...
ان الحرية اقوى على البقاء .
اما الروابط فهي التي تتحول الى معول مهدم ! ، ، ،
انا لا ادعوك الى ترك الناس ! ...
صعب جداً ان تترك الناس وتعيش كالزاهد وحدك .
لا يزهد الانسان عن الناس الا اذا جن ! ...
ولكن اعقل الناس هو الذي يستقل بنفسه عنهم
وهو في خضمهم ...
أشعر انك شخصان ! ...

شخص يعيش لياكل... وشخص يأكل ليعيش!
انك منذ ان تشعر هذا الشعور تجد آفاقاً جديدة
تتسع لروحك التي ضاقت بها الآفاق!
لأنك تتحول الى طيب سليم... يحس بألم سواه
فيلقح نفسه بعين الداء!...
أرأيت ماهي الغاية من خلق الشخصيتين للشخص الواحد.
لو انك عرفت هذا بنفسك دون ان اقوله لك لما
اعجبت بحياتي، بل لرأيتها حالاً طبيعية لا تجدر بالتفكير
والثناء!...

بل لكنت طويت قرطاسك وحطمت قلمك. ومسحت
بكفيك كل رسم لي يصوره خيالك!...
لأنه من الخطأ ان اشغلك!...
انا الذي لا يفيدك ان تعرف كيف اعيش، وكيف
افكر، ولماذا اعيش. ولماذا افكر!...
لأنك ان عرفت ذلك فلا يعقل ان تستطيعه مثلي!...

ان دراسة الاشخاص لا يقصد بها تقليدها ! بل معرفة
الخطأ من الصواب للعظة والاسترشاد ! ...

يمكنك ان تعرف كل الناس ... وانت لا تعرف
احداً ...

يمكنك ان تدرس كل الناس ... وانت لا تجالس
احداً ...

ويمكنك ان تكون لنفسك شخصية تشغل كل
الناس وانت لا تشعر بوجود أحد ! ...

لأجل ان تكون كذلك لا تقل لأحد انت هكذا
وانا اعرف عنك كذا ... وكذا ... لأن الذي
تعرفه عن الذي تحدثه ليس الا يسيراً مما يعرفه هو
عن نفسه ! ...

وما يعجبك فيه ، قد يكون هو نفسه الذي ينقص
عليه حياته ! ... ،

فلا تكن جاهلاً ... ولا تكن شامتاً ! ...

كن غريباً فان الغربة خير بواعث العطف
والاشفاق ! ...

ان الذي يعيش غريباً لا يحتاج الى الاخلاص ،
هذا الاخلاص الذي يستولي به الانسان على مصالحته من
سواه ! ... بل يحتاج الى العزلة ! ...

هذه العزلة التي تفكك كل الروابط ، وتخلق رابطة
اشمل من الاخلاص واعم من المحبة !

ان العزلة معناها محبة الجميع ، والاخلاص للجميع ،
دون عهد او ميثاق تغلى بهما النفعية .

ارأيت كيف استطعت ان اقول لك انك تصرف
وقتك سدى في الكتابة لي ...

إنني أقتربك بين كفي مراراً كلما اخذت كتابك ،
فلا اجد الا المصلحة مكوّنة لجسدك ، هذه المصلحة التي
تلقيك بين يدي ، كما يلقي الخوفُ الايمانَ في قلب
البائسين !

انك لو كنت قويا لاستغنيت عني ! ...

من أنا فاهديك الى الحقيقة ! ...

ان الحقيقة اشغلت الخليقة ولم تبرهن على وجودها ! ..

انها موجودة ولكن ليس من مصلحة احد ان يقر

بوجودها ! ...

حتى نحن الذين نعزل - كما تقول - لا نستطيع ان

نقر بوجودها دائماً ...

لأن هذا الاقرار يبعدنا عن الدنيا التي جعلناها غاية

عزلتنا .

والعاقل من لم يقيم دون مسعاه الحواجز ...

اترك القلم الذي بين يديك الآن ، فاني اتخيلك وانت

تكتب إليّ جواباً قبل ان تقرأ ما اكتب اليك .

سيان عندي اكان خيالي صادقاً ام كاذباً ، لأنني

لا اجد فيما تكتبه من اجلي إلا خيالات الحلمان ...

اظنك تشفق بي ، وبفسك ، فتريحني وتستريح ؟ !

اما أنت فلك ان تقرر ما تريد . . .

واما أنا فقد خصصت رسائلك بزاوية من زوايا

سلة المهملات . . .

ان كل ما قلته لك لم أقله الا لأنتهي الى ذكر هذه

السلة :

اتراك ادركت ما اريد؟! . . .

هذا فتح جديد لك !

كأنك تحلم ان اقطع كل صلة لي بالناس ، والكتب ،
ونفسي ، لأجعل مني انساناً موقوفاً على رغائبك !

ماذا تطلب مني ؟ !

ان ادون لك تاريخ حياتي منذ نشأتي حتى الآن ؟ !

وماذا يفيدك ان تعرف عني كل هذا ؟

ان حياتي ليست اكثر من سراج اوقدته شهوات
والدي ، وسيظل متقدماً الى ان ينفخ فيه فم الموت
فينطفئ . . .

وان حياتي ليست اكثر من مسرح مثلث عليه

الايام ادوارها ، وستظل تمثل الى ان يسدل الستار عن
الفصل الأخير من روايتها التي لا تنتهي الا لتبتدى ...
وان كلماتي ليست اكثر من هدير ماء ينتهي عند
المصب ...

تقول اني افدت في حياتي !
ماذا عسى يفيد الاديب اكثر من افادة الجندول
للظمئى ؟

ان هذه التجارب التي مرت بي ، او صررت بها ،
ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة لسواي ، لأنها كونتني ،
وقد تعجز ان تكون انساناً مثلي من بعدي ! لأنها قد
تعجز هي نفسها عن اعادة ما مثلته على مسرح حياتي !
تقول ايضاً ، قليلون هم الذين تجدر حياتهم بالخلود !
ما هو هذا الخلود الذي تريده للحياة على القرطاس !
ان اكثر الذين يقرأون لا يكتشفون بين السطور
الا اقتسامات ، او احتقاراً لمن يقرأون عنهم .

اما الذين يجدون الهدف من الكتابة، فهم قليلون...
انت تريدني ان اكتب لهؤلاء القليلين...
وماذا استطيع ان افيد هؤلاء القليلين...
يجب ان تشق ان احداً لا يستطيع ان يفهمك كما
انت الا اذا كان يماي ما تعانيه!...

وهؤلاء لا يجدون بالكتابة اليهم...
لأنهم يملكون الينبوع الذي تنضح منه فكرتك...
وبايديهم القلم الذي ترسم به حياتك...
وفي اعماقهم العطات التي تريد بها ان تملك خلودك!
فهم لا يعبأون بك... لأن لهم شاغلاً عنك!...
وهم لا يجدون بالكتابة من اجلهم... لأنهم
يعرفون ما ستكتبه من اجلهم!...
او هم على الأقل... محط الشفقة التي تضمن ان تشير
الذكرى، وتبعث الآلام...

القراء اثنان : واحد يعرفك ، هذا شأنه .

وواحد لا يستطيع ان يعرفك ، فان كتبت اليه
كنت كمن وضع نفسه بين يدي جلاذ...
اتريدني ان اسلم وجهي لرسام طفل فيصورني كالقرد
أم ان اضع حياتي بين يدي (صنوي) فأتأثر فيه كوا من
آلامه ؟ !

اني لهذا اتساءل كثيراً عن السبب في كتابة
المذكرات واحسب الذين يكتبونها انانيين ، يؤمنون
بأنفسهم ولا يؤمنون بأثرهم وتأثيرهم ! لهذا يريدون ان
يفرضوا الاقرار بوجودهم على الذكرى...
انا لا يهمني ان تحتويني الحياة ، سيان عندي ان كان
الخلود نصيبي او الفناء... كل ما يهمني ان اعيش فكرة
في الرؤوس ، اهدي بلا انوار واتكلم بلا لسان ، وازعج
الباطل بحياة لا يستطيع ان يثير حولها الشبهات...
الذين يكتبون انفسهم يشيرون في اعماقهم ذكريات
لولا خطورتها لما صمدت امام تيار الفناء !...

هؤلاء عندما يكتبون يجدون تلك الآلام...

كانهم اذ يتخيلونها يعيشونها ثانية...

تصور اي الم يقاسونه في تحمل كل هذه الآلام
دفعه واحده ، ليخرجوا منها كلاماً قد لا يشغل اكثر
من صفحات...

ولاي شيء يكتبون ؟ !

للعظة ؟ !

ماذا يفيدني ان يتعظ بحياتي اناس لم يعبأوا
بوجودي ؟ ! ...

هل يصلح للعظة من كلما رأني صبعني بالاحتقار ؟
انك تقول ان الصالح لا يندثر !

ولكن هل تستطيع ان تخرج للناس بالصالح ليعطوك
الخلود المأمول ؟ !

لم اذهب بك بعيداً جداً بالتشبيه ... لنعد الى قلب
سؤالك ! ...

ألم تقل ان حياتي عظة بليغة ؟ ! ...
 اراها تكون عظة لولا ما فيها من الم ؟ ! ...
 لم تريد ان تتحمل العقول عصارة هذا الالم في كلام
 وان تحقيره في الواقع ؟ ! ...
 أكنت انساناً لا اوحى فكرة يوم حملت هذه
 الآلام في حياتي ؟ ! ...
 اذا كنت كذلك ... كيف استطيع ان اخرج
 بفكرة جميلة للناس ؟ ! ...
 انا لا اريد ان اكتب حياتي ،
 ان حياتي سلسلة من ظلام ...
 انا لا اخجل ان اظل في الظلام ، وان اسد بكفي اية
 ثغرة ترشد النور الى ظمائي ...
 لأن الظلام اكثر ايماء
 ان ظلام النفوس هو الذي يخلق العبقريات ؟ !
 ليس ثمة من انسان عظيم في الارض استطاع ان يكون

عظيماً قبل ان يشبع من الألم ! . . .

كذلك ليس ثمة من انسان عظيم في الأرض
استطاع ان يظل عظيماً بعد ان افرغ كل ما في نفسه
من الم !

لاجل ان تصل الى ما تريد يجب ان تكتم ما تمناني ! . . .
الألم غذاء عظيم لا اضن بوصف عظمته ولكنني اضن
بافراغه لك . . .

لأنني لم اشبع من الألم،
بل لأنني لم ابلغ غايتي من تحمل الألم
لا استطيع ان اكتب المي ! . . .
ان المي جناحي . . . فاذا افرغته . . . كيف اطيرو
الى ما استهدف ؟ ! . . .

لن أغذيك قبل ان أرتوي ! . . .
لهذا لن اكتب مذكراتي . . .
ولهذا يحذر بك ان تطوي املك بأثارتي للكتابة ! . . .

ان مذكري لا شك جميلة ! . . .

جميلة لي انا . . .

اني ساجح بها . . . مستشهد بانوارها . . . لا اسير

خطوة قبل ان ارجع اليها خطوات ..

انها مذكريات اديب . . . اراد كل شيء ولم يبلغ

شيئاً مما اراد . . .

انها جميلة لي . . .

وقد تكون جميلة لك . . .

جميلة لي لأنها مشعلي نحو ما اريد . . .

وجميلة لك . . . لأنها معرفة لمحاولات انسان

مثلي . . .

اني قلت لك في رسالتي السابقة انني اعيش في

جو العزلة . . .

هذه العزلة هي ألي . . .

هل اترك ألي لا قول لك من انا ؟ ! . . .

وهل يرضيني ان لا يعرفني الناس كما انا ؛ قبل ان
يتعودوا تحمل حياتي كما انا ؟ !

اني شي* يجب ان لا يعرف الآن . . .
ان كتبت اسراري . . . ستتولى الايام كشفها . . .
لهذا لن اكتب . . .

لأنني ان كتبت اغنيت الايام جهد البحث
عني

ومن اجل من سأكتب ؟ ! . . .
اني انسان اصبحت او من بوجودي ! . . .
اصبحت او من بنفسي . . .

هذه النفس التي ستفرض على الحياة !
ومتى تتحمل الحياة النفوس التي لم تهيئها للخلود ؟ ! . . .
ان الحياة لا تتحمل هذه النفوس إلا اذا شعرت انها
محتقرة عند اصحابها . . .

ان احتقاري للحياة لا يحببني بالموت

جنبنا هم الذين يهربون من الحياة ! ...
الحياة امرأة ! ... يملكها كل الذين يكتشفون
اسرارها ! ...

ان اسرار الحياة ابناؤها ...
اكثر الناس تكالبا على الاندماج بالناس ابعدهم عن
امتلاك الحياة ! ...

لا يبلغ الخلود الا الذي آمن بشخصيته ، وتمكن من
الاستغناء عن المحيط الذي هو فيه ، دون ان يزعج ابنائه
بعزلته عنهم ! ...

اننى الآن في العزلة ! ...
لهذا لن اكتب اليك ما تحبب اليّ كتابته ! ...
ولذا يجب عليك ان لا ترعجني في خلوتي ...
اكنتم ما في نفسك ...
لا تكتب إلي بعد الآن ...
ان كتابتك هي الازعاج لي في خلوتي ...

ان كتبت اليّ بعد الآن سأعلن من خطي عليك ...
بل احتقاري لك
سيكون احتقاري من نوع جديد!
هو السكوت ...

أنت انسان عجيب دون شك!
 لعلك اشبه بوزير النساء الذي خبر مواطن الضعف
 في المرأة ، ومرض اساليب اثاره شهوتها ، واقتناص عطفها
 واستسلامها ! . . .

هل الادباء الانساء اذا اختلطوا بالمجموعة البشرية !
 ان فيهم مواطن جمال وجاذبية . . . مثل النساء . . .
 وانهم يهمهم كثيراً ان يتحدث الناس اليهم عن
 مواطن هذا الجمال ، وهذه الجاذبية . . . مثل النساء . . .
 انهم يسكرون بهذا الحديث . . . ويضعفون . . .
 حتى يستسلمون لمن يتحدث اليهم فيه . . . فيصبحون

مطية لفكرته... ورأيه... ورغائبه... وشهواته...
مثل النساء... مثل النساء...

اتظن لولا هذا الضعف في الادباء أيستطيع احد
من الناس ان يشغلهم دقيقة بنفسه ؟ !
ان ادب المديح والهجاء ليس الا من مخلفات هذا
الضعف في الادباء ! ...

ارأيت ناحية العجب من حياتك ؟ ! ...
لملك الوحيد الذي اكتشف اساليب اغرائي بالكلام !
انت لو كتبت إليّ تسألني عن اي شيء ، طلباً لأي
فائدة لن يكون جوابك الا السكوت ...
ذلك السكوت الذي تهددتك ان احتقرك به ! ...
ولكنك لم تفعل ...

ولست ادري لماذا لم تفعل ... أكان ذكاءً منك او
طبيعة .. ذلك لا يهمني ... الأمر الذي اجابهه الآن
انك تمكنت من اللعب بي ... من اقتناصي ... من

جلبي الى المنضدة لأكتب من اجالك ... وهل اقوى
على اقتناص الارادة من حديث الطفولة ! ...
ان ذكريات الطفولة لو رافقت الانسان في كل
اعماله لما شعر بالشيخوخة ! ...

وان اقوى عامل يدفع الانسان الى السباحة في
ماضيه هو هذه الذكريات ...

تذكرني يوم كنت هزيراً ... رث الثياب ...
صامتاً هادئاً ... لا تعلمو الابتسامة شفتي حتى في
الاعياد ؟ ! ...

لله درك ... كم انت واسع الخيال ، قوي الذاكرة
حسن الابداع للرسم والنحت والتصوير ! ...
لا اشك ابداً اني كنت كذلك ...

وربما افدتك ... اذا كنت تستهدف شيئاً من
هذه الذكريات ... إن اضيفت الى ما قلته اني كنت
متهدل شعر الرأس حتى الأذنين ، طويل الاظافر

كأنا إنسان الأول ... لا يخلو أسبوع من معركة لاهية
بينى وبين ذوي من أجل زيارة المزين ... او اخذ
المقراضين لتقليم الاظافر ! ...

هكذا ايضاً كنت ... لا كما قلت فقط ! ...
تقول أنت ان هذا مصدره اللامبالاة التي هي اولى
غرائز الادباء ! ...

هذا عذر للقذرين اربأ بنفسى ان اتحله ...
ان الذي طهرت روحه ، ونقيت نفسه ، لا يرضى
مظاهر القذارة ... والبشاعة ! ...

فكرت طويلاً لماذا كنت هكذا ايام طفولتى ! ..
لم يكن يشغلني عن النظافة حب للعب ، فأنا كما قلت
انت ... بعيد عن جلبة الاطفال ...

لم اشترك في يوم معهم ... ولا كنت بينهم إذ
كانوا يحفرون الارض باظافرهم ليلعبوا بالكل والكعب ! ...
بل كنت مشاهداً بين المشاهدين ! ...

اذن من اين لي هذه القذارة ... وكيف تسرب
الى نفسي هذا الاهمال؟! ...

لم اكن احمل فكرة ... لأن ليس غير الافكار
شاغل للادباء عن اجسادهم ...

ولم اكن اديباً ... لأن ليس غير الادب مفروق بين
الانسان وشهواته! ...

اذن علام كنت كما كنت؟! ...

حقيقة انت عجيب!

ارأيت كيف استطعت ان تشغلي نفسي! ...

ان امرأ تافهاً كالقذارة يحيرني الآن ... ومتى

يحيرني؟! ... في الآن الذي اصبحت لا اعتقد ان للمظاهر اي

اثر في الحكم على البواطن! ...

ولكن هذا الانفصال بين الظاهر والباطن في تأثيرهما

لتكوين النفس لا يمنع ان يكون لخالهما سبباً .

مخطئ أنت اذ قلت ان الاطفال لا يجدون

بالاكثرات ... لأنهم يعملون غير مندفعين .

لا ... الاطفال هم الذين يندفعون ... ويندفعون

بتأثيرات اسمى من اندفاعات الرجال ! ...

واندفاعاتهم هي التي تكون لهم ارواحهم وشخصياتهم

لأن الارواح والشخصيات ليست الا اجساد

الذكريات ! ...

ارأيت اي اثر للطفولة في تكوين الانسان ؟

اذن علام كنت كما كنت ؟ ! ...

وما هو الاندفاع الذي جعلني كما كنت ؟

ترى لو كان في الحى حديقة اكنت العب فيها ،

واختلي باشجارها وازهارها ، وارقص في مياهها ، واسمر

مع نجومها واقارها ؟ ! ...

فاضطر ان اقلم اظفري كما يقلم البستاني الغصون ،

او لو كان شارع الحى معبداً ... مرصوفاً بالاسفلت ،

يغسل كل يوم بالماء ، وتسقى اشجاره المغروسة على رصيفيه ،

اكننت ألبس هذا الثوب الرث القذر ، الذي كلما غسلته
وعنيت بنظافته اعاده غبار الشارع ، ومصارعة الاطفال ،
ولمس الاقران الى ما كان عليه من رثاثة وقذارة ؟ ! ...
وشعري الطويل المتهدل الى اذني . اترى لو كان
اطفال الحي وبناته ، يلعبون في الحديقة ويترامون على
العشب الاخضر ، ويسوقون العجلات الصغيرة على
الارصفة المتعرجة فيها ، أستطيع ان اظهر بهذا الشكل
المقزز للنفوس ؟

ان الاطفال مثل الرجال . . . يعيشون للمحيط الذي
يضمهم . . . بل هم اصدق اتصالا بالمحيط ؟ فهل ذكرت . . .
وانت الذي تذكرني دائماً . . . يوم وقف احمد نجل الباشا
الذي تترامى عند اقدامه رؤوس اهل الحي ، وبصق على
ثوبي . . . وطرمني من قصره لأنني كما انا ؟ ! . . .
انه طفل مثلنا ! . . . ولكنه غني ؟ ! . . .
ان الاغنياء لا يتفلون على الفقراء . . . وان كانوا

يكيلون لهم من العذاب ما هو اشد مضاضة من التفل ...
ولكن الاطفال اصدق من الرجال ... لأنهم لا
يعرفون اساليب اولئك ، فيصرحون بما في اعماقهم
باعمالهم ... لا بأرواحهم ... وعقولهم ! ...
ان التفاخر بالاثواب عند الاطفال ... كالتفاخر
بالجاه والسطان ، والمال عند الرجال ...

هذا شي طبيعي ...

ولكن اذكر ماذا قلت لذلك الطفل يوم
تفل علي ؟ !

انت لا تستطيع ان تذكر ذلك ...
الحكمة آخر ما يذكره الانسان المتخوم بالاكتفاء ...
والألم آخر ما ينساه الانسان الذي لم يفرغ من
استثمار ألمه ! ...
لقد قلت له :

عد الى ابيك ... هذا الذي ترتديه ثوبه لا ثوبك ...

ان خير ما انخر به هو انني انسج من المي ثوبي المغربي
الذي سأرتديه بعد هذا الثوب المقرف ، اما انت فستظل
ترتدي من مخلفات والدك ...

انت تفخر بان تلبس ما تعب غيرك في نسجه ،
فتتفل على العراة ، اما انا فانخر بالعري ... واتفل على
المتبرجين بالثياب المسروقة باسم الارث ...
الحقيقة ان كل مافي طفولتي كان لي ...

من صنعي انا ... ليس لو الذي اي اثر فيه ...
كل الاطفال صورة صادقة عن آبائهم الا اياي ! ...
لو ان كل حقيقة يجب ان نرجعها للواقع الملموس
لنتمكن من اقرار وجودها ، لانكرت وجود اب لي ...
لا انني لم المس هذه الحقيقة الواقعة ! ...
لقد كنت يتيماً لا اب لي ...

ان احد جناحي العطف والعناية اللذين يطير بهما
مظهر الطفل . فقدته وانا في رحم والدتي ! ...

لقد تركت الى امرأة!...

انا لا استطيع ان اقول لوالدتي اكثر مما يقوله

المعترف بالجميل لمن احسن اليه...

انها امرأة...، وبهذا حافظ الى العفو عن كل

خطيئاتها... وامرأة شرقية بل امرأة شرقية ومسامحة!..

لا اقصد ان احتقر النساء!...

من ذا يحتقر النساء وامه، واخته، وزوجه،

وابنته منهن؟!...

ولكنني اقصد ان احتقر السجن الذي سجن فيه!

واقصد ان احتقر ارواحهن التي اصبحت سجناً ثانياً...

ان المرأة لا تتقزز نفسها من القذارة الا في الشباب،

والرجال... والنساء!...

في الشباب لأنها تشوه جمالهم، وتخفي مغرياتهم،

ومثيرات الشهوة فيهن...

وفي الرجال لأنها تجعلهم كالزاهدين الذين لا يعترفون

بوجود الجمال واللذة! ولا يقرون بسحر النساء، وضرورة
التجمل من اجلهن! ...

وفي النساء... لان القذارة فيهن توحى الى بسواهن
الاعتداد بالنفس، والشعور بالتفوق! ...

اما الاطفال ... فهم لا يوحون شيئاً ... بل
يشغلون عن اشياء ...

لهذا لا يذكر بوجودهم الا الآباء! ...

ارأيت كم هو صعب اليتيم؟! ...

ان الآباء علاج... بل غذاء... بل بذرة التكون

الاجتماعي في الاطفال ...

لأول مرة... يوم تقل على ثوبي هذا الطفل الثري...

شعرت اني عاجز بين العاجزين... أن احد جناحي

مهشم! ...

لقد بكيت! ... ذرفت دموعي! ...

شعرت بالانحزال! .. كل هذا حقائق اذكرها

حتى الآن ...

واذكر معها اني لم اكن اترك ساحات اللعب مع
الاطفال زهداً مني باللعب، ولا ميلاً الى الخلوة، والتفكير،
كما انا الآن ...

لا ... ان ما كان يشعني عن ذلك ... الفقر ! ...
من اين اجيء بثمر الكل ؟ ...

لقد قال لي طفل مرة لماذا لا تلعب بالكعب اتدري
بماذا اجبته ؟ ! ...

آه ... ما اشقاي بك ايها الصديق ... لقد حررت
في كل ذكريات الطفولة ! ...

ليتك لم تعرفني ، ولم اعرفك ! ... علي ابقى
متربهاً على أنف تلك الذكريات ! ...

نعم ... نعم ... لقد اجبته ... وصريحاً جداً كان
جوابي ... انه من روعي ... من حقيقتي ! ... لقد
قلت له ... انا لا املك ثمن الكعب ؟ ! ...

كان جواباً صادقاً ... ولهذا كان مؤلماً ...
مستظن دون شك انه كان مؤلماً لمن سمعه. ... ليت كل الذين
يسمعون يتألمون دائماً. ... اذن لاقترب الألم من الموت ...
وحانت ساعة ميلاد السعادة ...

ان الذي قلت له ذلك لم يتألم ...

ولماذا يتألم السامع لما يسمعه ؟

افرض محتوم ان يحرك حرمانك آلام سواك ؟ !

اسمع : لقد اجابني هكذا ...

الا تأكلون اللحم ؟ ! ... الا تطبخون الخراف !

كلما طهيتم حملاً او خروفاً اجمع الكعاب وتعال

لنلعب بها ! ...

الذي يجيب بهذا يستطيع ان يدخل نفسه الألم ،

وان يشعر بما يشعر به امثالنا ؟ ! ...

لم اقل له : الذي لا يملك ثمن كعب بلا خروف ...

لا يستطيع ان يملك ثمن خروف بكعب ؟ ! ...

لم اقل له ذلك ... بل لجأت الى السكوت ...
عندما يسكت الواقع ... يتكلم الألم ...
ما افسى حياة البائسين ! ... ان كل دمة من
دموعهم تجدر بتمثال ! ...
ان منظر طفل بائس مثلي ... يومئذ ... يجدر
ان يرسم في لوحة زيتية ...
هكذا ...
هزيلاً ...
رث الثياب ...
صامتاً ...
هادئاً ...
لا تعلو الابتسامة شفتيه ...
مهدل شعر الرأس حتى الأذنين ..
طويل الاظافر ...
والاطفال حوله في مباهج ثيابهم وارواحهم يلعبون،

ان منظرأ كهذا لو صور وعرض في لوحة زيتية كم كان
يساوي؟! ...

انه يساويني أنا ...

انا الطفل الذي يرى نفسه لوحة زيتية رسمته يد
الاله ، والقتنه مهملاً على الجدار كالاعلان تمر به
العيون ...

ثم لا تلبث ان تنزعه يد الالفة والمادة ...

فيصبح كالجدار ...

لا صورة ... ولا الوان ...

هكذا ...

هكذا ايها الصديق ...

بل هكذا ... هكذا ايها القاسي الذي لم تورع

عن ايقاظ ابعاد صورة مؤلمة لألمي ... في سبيل ان

تمتزج بي ... ان تحر كني للاشتغال بك ... للتفكير

من اجالك ...

لله در انابتك

ان كل الاشقياء ضحايا الانابين . . .

فلا تكتب اليّ بعد اليوم . . .

اتركني لا آلامي اعانيها ، واطويها . . . فقد شعرت

بثقل حملك . . . لأنك ألم الى ألم . . . وهل اشق من

الذكرى . . . على المتألمين ! . . .

تدعي اني كسول خامل في المدرسة ؟
وانني قوي الارادة ، ساط اللسان ، حاضر النكتة ،
غير هياب بالمستقبل ؟ !

لو ان ما قلته كان حقاً ، ماذا تستنتج منه ؟ !
البراهين التي جئت بها صادقة . . . لأنني اذكرها
جيداً ولكنها لا تدل على ان الذكرى حملت اليك فكرة
قديمة !

انك لم تتحدث في كتابك عن نظم التعليم . . .
لم تقل شيئاً عن ذلك المعلم الذي كان يشغلنا ساعة
كاملة في الحديث عن نفسه . . . وعن رحلاته . . . ولا

يستبقي لنا الا بضع دقائق يشرح خلالها الدرس ، ويفرض
الفهم ! ...

أريد ان يكون مثلي امام هذا المعلم ، كالمعترف
امام الهيكل ! ...

اني لم اكن اجسر ان اقول له ، لا تكمل يا استاذ ،
الذي تقوله لا يعنيننا ...

لهذا كنت اسخر منه ، بأسلوب فكه رمزي !...
انه كان يشعر بذلك ... ولكنه كان يسكت على
مضض ... لأن شهوة الكلام كانت تغلب الكرامة !...

انا لم اكن قوياً ، ولكن المعلم كان ضعيفاً ...
أرأيت ان المقاييس هي التي تخرج الحقيقة ! ...
ثم لم لم تذكر هذا الاستاذ الذي يقف ساعة على
اللوحة السوداء ويبيده الطباشير ، ليشرح لنا - س ج -
ومركزها من الجبر ، دون ان يعرف لنا اسباب
الاصطلاح وهدفه ؟ ! ...

اني اشكرك لانك اهديتني ابياتي بهذا الاستاذ...

لقد فقدت هذه الابيات منذ قلتها...

لان مثل هذه القصائد تقال للدقيقة التي تقال فيها

انها جميلة...

انظر كم كنت صادقاً حين قلتها...

لقد صوّرت مدى تقديري لعقلية مثل هذا الاستاذ...

انا بعد خمس عشرة سنة واكثر اكتب اليك عن هذا

الاستاذ بأسلوب لا يختلف عن أسلوب تلك القصيدة...

ارأيت اني كنت صادقاً... واني الآن كذلك

صادقاً فيما احمله من فكرة عن هذا الاستاذ...

لقد قلت :

او بين ضرب وقسمة

وما وصلت لقمة

ولقائك اتعس لطمة

وجئت بالسين نقمة

ما بين جمع وطرح

قضيت عمر التاهي

جزاك ربك شراً

تركت سبعاً وخمساً

كأن عقاك يبنو مثال جيمك حرمة
لعنت سبعاً وخمساً وان قضيت فنعمة !

ان مثل هذا الاستاذ لا يشوق للدرس، ولا يبعث
الجلد في الروح، فكيف تريدني ان اسكت عن اهانتة،
وان لا اظهر القوة والبأس امامه؟! ...

ثم انت تزعم اني لم اكن اعباً بالمستقبل، هذا
صحيح، لأن الذي يعيش في حاضر يصرفه ماله بالاهمال،
لا يستطيع ان يقدر قيمة المستقبل الذي سيليه ...

ان ضعف الاساتذة، وعدم شعورهم بالواجب،
واعراضهم عن الاحتيال لاستثمار الحاضر في سبيلنا،
كل ذلك كان يوحى اليّ، ان منهاج الحياة كالحركة
الاوتوماتيكية التي لا تحتاج الى تفكير ... ولا جهد...
ولا يضر وقوفها ...

الحقيقة اننا عشنا في جو موبوء يوم كنا طلاباً ...
اتذكر ان استاذ علوم الدين كان يحدّثنا بأسلوب هنري،

ولسان الكن ، وان اسنانه المزيفة كانت تتساقط كلما
ملكه الغيظ واضطر للصراخ ، وانا كنا نتقصد ازعاجه
لنشهد هذا الفصل المضحك؟! ..

لماذا كانوا يتقصدون ان يكون معلم الدين شيخاً
معمرًا؟ اترام لا يؤمنون بايمان الشبان؟! ..

الم تذكر ان هذا المعلم كان يعرض علينا امثلة
دينية خرافية لا يتسع لها المنطق ، وانا كنا نسخر منه
كلما ذكر لنا مثل هذه الامثلة؟! ..

اني لا زلت اذكر حديث نواقض الوضوء ،
والحيض والنفاس ، انه حديث اضحكنا كثيراً ، اتدري ..
انا لم نفقه من علم الدين شيئاً ، بل لقد نسينا الكثير مما
علمتنا اياه المدارس الابتدائية لأن مثل هــؤلاء المعلمين
يصرفون العقول الى الضحك اكثر من الدرس ، انهم
يضررون اكثر مما ينفعون . . . انهم يخرجون طـلاباً
لا دين لهم في الوقت الذي يظنون انهم يُدَيّنون من

لا دين لهم! ...

ثم ما لك لا تذكر هذا الاستاذ الذي يزعجه منظر
طه حسين واسم طه حسين ، وكلام طه حسين الم نكن
نرسم وجه طه حسين على اللوح لتتخلص من درسه ،
فيكيل الشتم ، ويسرف في السباب ، الى ان ينتهي الدرس ،
فلا يفيد ، ولا يستفيد ؟! ...

اتذكر قصيدة كنا نلقنها في المدرسة مطالعها :

انت الكرة كالسكرة هيا العبي في المكتب ؟

انها كانت قصيدة جميلة ... ضحكنا لها ، وفرحنا

بها ، واصبحت انشودتنا كلما لعبنا في ساحة
المدرسة ...

ثم اتذكر اننا اذ دخلنا المدرسة الثانوية . و حملنا

على ان نستظهر بعض القصائد لشعراء سيجري حول
حياتهم وشعرهم فحص الشهادة ، كم تحملنا من مشاق لحفظ
هذه القصائد ؟

اننى ما ازال اذكر اننى قلت للاستاذ يومئذ لم لا
تكون هذه القصائد من مستظهرات الصفوف الابتدائية
لنجي الى الصفوف العالية مسلحين بها ، فنختصر بها
بعض الجهد ؟ ! ...

ان المعلم سحر منى ... ولقبنى بوزير المعارف ...
لأنه صعب عليه ان احدى الوزارة في وضع البرامج ! ...
لماذا يخرجون منا نحن الاطفال ؟ ! ...
لماذا لا يكثر ثوب بآرائنا ؟ ! ...

السنا مرضى يعالجوننا على مقاعد الدرس ؟ ! ...
الاطباء لا يستطيعون وصف العلاج قبل ان يسألوا
المرضى عن آلامهم ، ومواطن الضعف في اجسادهم ،
وما يعانونه من مشاق ؟ ! ...

ليعتبرونا مرضى ... فيسمعوا الينا ..
فانا يوم قلت للاستاذ ان نصف كتب التاريخ يمكن
ان تحشر في كتب القراءة سحر منى ...

فيوم قلت له ان بعض جغرافية البلاد يمكن ان
تدرس مع الرياضة والكشفية نظر الى شذراً...
ويوم قلت ان الكيمياء والجبر والهندسة يمكن ان
تفصل عن برنامج المدرسة ، ليكون لها طلاب شغفون
بها زجري ووبخني ...

الم اكن محققاً في كل هذا الذي قلته ؟ !...
انني لست مشرعاً ، ولا منظماً ، ولا استاذاً في
التربية والتعليم ، ولكنني مريض عاجل ولي حق
الكلام !... !

ان طلاب الصف الثالث والرابع والخامس في
المدارس الابتدائية يقتلون ساعة كل يوم بتعلم الاملاء ،
وما هي هذه المقالات التي تملأ عليهم ؟ ! انها جوفاء
لا تحتوي فكرة !... !

هذه الساعة لا يمكننا ان نستثمرها عن طريق الاملاء
لبعض مواضيع التاريخ والجغرافيا وحياة الادباء ولو

بصورة ابتدائية مصغرة ! ..

اكل هذه المقترحات ليست شيئاً مذكوراً ؟ ! ..
ألا يمكن تحقيق ولو جزء يسير منها ؟ !

ان الاطفال في المدارس لا يملكون حق الجدل ،
ولا ابداء الرأي ، فهم امام الاساتذة كالمصلي امام المحراب !
مخشوع ورهبة يجب ان يردد الآيات ...

ان المدرسة تكون بهذا النظام الذي يشل تفكير
الاطفال شباباً لهم قوة الآلة ، لا عقل صانعها ...
لهذا ضعف الايمان ، بالشهادات والاجازات واخضعت
الوظائف والاعمال للفحوص ، ترى ان الحياة العملية
لا تتعرف الى النظام الدراسي المعمول به في المدارس ، بل
تلجأ الى النظام الذي يقترحه وهو الاختصاص ! ... فما
فحوص قبول المستوظفين الا سخرية علنية بالشهادات ...
في هذا الجو الموبوء عشنا نحن الطلاب ! ... وبين
مثل هؤلاء الاساتذة طلب اليانا ان نكون الاشخاص

الذين يتطلبهم مجتمعنا الظمان الى الرجال! ...
اردت من هذا كله ان اكشف لك عن حقيقة
تأخري دون الطلاب ...

ان كثيرين يستطيعون ان يعيشوا عيشة الالة
حتى في تلقيهم الدروس . هم يستظهرون حتى الجغرافية
والتاريخ ، والحساب والهندسة والكيمياء ، اما نحن فلا
نستطيع ان نتلودرساً من الدروس قبل ان نؤمن بفائدته ...
انا نريد ان نحب قبل ان نفهم ونستفيد او نؤدي واجباً ...
ان الدرع الذي يهـدى الينا ليدراً عنا الموت قد
لا نتدرع به ان لم نحبه ! ...

ارأيت كيف نعيش نحن ؟! ...
الذي مثلنا لا يستطيع ان يكون بين المبرزين من
الطلاب

والذي مثلنا لا يهتمه مستقبلة كثيراً ... لأنه
يشغل عنه بمداواة بغض حاضره ! ، ..

متى احسنتم بناء الحاضر تؤمنون المستقبل الذي
اليه تطمحون

تقول ايضاً فيما تقول ... وانت اكرم من يجود
بالكلام ... اني كنت سطحي العلاقة مع الطلاب ...
لا استمع بحسب مبرزاً ولا ارافق فوضوياً ... اختلي بنفسي
ساعات طوالا وبين يدي كتاب او مقال ... او قطعة
ارصف عليها بعض ابيات من الشعر ! ...

اذكر ذلك جيداً ... واذكر معه اني نظمت
قصيدة في احد الدروس، فعمثت بها كف المعلم ، تصور
ذلك اليوم ! ... اتدري ما صنع المعلم بالقصيدة لقد رفها
الى المدير لانال قصاصي ...

حقيقة مضحكة هي الحياة ... ان كل فرد فيها
ينفرد بفكرة و طراز للتفكير ... مثل الحياة المدرسة
المعلمون فيها مندوبون عن هذه الافكار ... ومجلس
ادارة المعلمين لمجلس وزراء الدولة .

أراها صورة صادقة هذه الصورة التي أبسطها
للمعلمين يوم التفوا حولي وكل منهم يبدي رأياً لا يتفق
مع رأي زميله :

هذا معلم الكيمياء محتج لأنني أصرف درسا له
فأدته وخطره في نظم قصيدة سخيفة ! ...

وهذا معلم الأدب محتج ويدعي أن القصيدة غير
سخيفة وأن لم تخل من بعض الميوب وهذا معلم الدين
يقول أن هذا الغزل حرام مفسد للأخلاق ، يجب أن
أجازي عليه حتى لا أعود إليه

وهذا معلم الرياضة يقول أن الأطفال يجب أن
لا يبكروا في مثل هذه الأعمال لئلا يفقدوا نشاطهم
وصحتهم ! ...

وهذا ... وهذا ... إلى أن ضاع الجرم الذي
أسند إلي ، والشكوى التي رفعها المعلم ، ومزقت القصيدة ،
وطلب إلي الانصراف للدرس ، دون أن يدرس

الاختصاصيون اسباب الاستهتار بالدرس ، او طريقة
ترغبني في الاصغاء والاستفادة !! ...
اذكر؟! ...

ان صخب الطلاب ، وصياح المعلم ، وجو الالقاء لم
يكن يؤثر فيّ ، بل كنت استطيع بالرغم من ذلك كله
ان اخلي بروحي ، فاستفرغها قصيدة شعرية ، واستوحيتها
موضوعاً خيالياً ...

هكذا انا في المدرسة ... وفي الحياة ... لا اعبأ
بأحد ... ولا يهمني أحد ... اشعر بوجود الناس ولا
يشوقوني لاصطفاء احدهم! ...

فانا انتهيت من الاصطفاء ... لقد عرضت علي
صيدلة المدرسة كل انواع العلاجات للميل الذي هياتني
الطبيعة له ... فاصطفيت الأدب ... والشعر ...
وافرغت لهما نفسي بكاملها ... فكانا عزائي عن الناس ...
وخمرتني في عزائي عنهم ...

ولكن الصيد لا في لم يشأ الا ان اناول كل عقاقيره ...
لهذا كانت نفسي تعاف مالا تحب وتبرز فيما تحب ...
ولعل هذا ايضاً هو العذر الوحيد لاختراق الكثيرين
ممن لا يتفقون معنا في الميول ...

لو انك عرفت بي هذا كله ...
لما شعرت انني كنت كسولاً ... خاملاً ...
لا اعباً بالدروس ولا اتمياً للمستقبل الذي تريده الدراسة ...
انني اشفق عليك ان تفرغ جهدك في تصور الوقائع ،
دون ان تبذل جهداً في معرفة مسبباتها وغاياتها ...
ان الذين يكتبون مثلك لا يستحقون ان يقرأ لهم
لهذا خير لك ان لا تكتب الي بعد الآن .

لأنني عرفت انك لا تستحق ان تجاب ...
ولا ان يفرغ من اجلك وقت ...
فهل ادركت في نفسك ما ادركت الآن ؟ ! ...
فاسكت ... لتستريح وتريح ...

هذه أول رسالة من رسائلك الصادقة !...
 اتعمدت ان تكتبها هكذا... ام تعمدت ان
 تأتي سافرة على قرطاسك بالرغم منك ؟ !
 الصدق في الكتابة كثيراً ما يفرض نفسه على الكتاب !
 انك كنت صادقاً... هذا حق !
 وأما انك تعمدت الصدق، ام تعمد هو الظهور بالرغم
 عنك فهذا لم يعد يهمني بعد الاطمئنان الى الصدق !
 انت تحدثني عن والدتك...
 تقول « ان والدتي ليست اكثر من ممثلة لناحية

واحدة في حياة نساء الشرق ! ...

« ان ما تتخلق به والدي ، وما يوحيه هذا التخاق
لي ، ليس اكثر من جزء يسير مما يعاينه كل اقراي
في الشرق ! »

وانت بعد هذا الكلام تحاول ان تصف والدتك ...
انت تسألني بعد كل وصف إذا كانت والدي
كوالدتك ؟

ان صدقك لا يستحق الكذب ...
الذي يتعمى امامك عيب ان تباهيه بثيابك ...
اظهر امام العراة عاريًا فلا تجدد محطاً للسخرية الا
اولئك الذين يريدون الثياب ...
لهذا سأجيبك عاريًا ...

عاريًا من الخوف ... من التقاليد ... من غضب
والدي ... من غضب المجتمع ... من غضب النساء ...
عاريًا من كل شيء الا من الصدق ... لأنك كنت

صادقاً ...

أرى لو كنت كاذباً أكنت أجيبك ...

أنا لا أصدقك الكلام جزاء على صدقك ...

أنا أحدثك جزاءً على صدقك ...

تقول ان والدتك تستيقظ قبل الشمس ، وانها تبدأ
عملها كل يوم بتلاوة عشر من القرآن ... ثم بالصلاة
والتسبيح والدعاء ! ...

هذا العمل يزعجك انت ! ...

لو ان والدتي تعمل مثله لحمدت الله ... ولم احتج !
بل اكتفيت بأن انقل فراشي الى اقرب غرفة مجاورة ...
اتحسب ان تحمل الاستيقاظ باكراً . والانزعاج
بهذا الهمس الذي يقع كالطريقة على اذني من لم يرتو من
النوم يعد شيئاً كثيراً بالنسبة لغير هذا الطراز من وسائل
ازعاج المعمرات ؟ !

ليت كل المعمرات يشغلن بما تُشغل به والدتك !

انك لو شكوت الصداع ، اوحب النوم ، او المرض
او اى شيء ، لتمكنت من ان تنقل فراشك من غرفة
والدتك حتى ولو الى ... المطبخ ...

ولكنك لا تستطيع ان تنقل مسامعك حيث شئت
اذا كانت والدتك فيلسوفة تريد ان ترسم لك مناهج
لسعادتك وبرامج لاعمال تفتح عليك الرزق ؟!

الدين شاغل قوى للثرثارات من النساء عن كثير
من الامور التي لا تعنيهن !

ولكن مارأيك في ان تكون الامور التي لا تعنيهن
شاغلة لهن عن الدين نفسه ؟! ...

ارأيت ان مصيبتك بوالدتك سهلة هينة بالنسبة
لمصيبتي انا ؟! . . .

ان الدين يبرهن على ضرورته لحياة الانسان في
مثل هذه المواقف !

لولا الدين ، ولولا تشاغل والدتك به ، اتعلم ماذا

كان ينتظرك؟ ...!

اقل مصيبة يجب عليك احتمالها ان تجلس امامها
كالعبد امام مالكة لتسمع حكمها التي لا تستطيع الا ان
تقر بصحتها ... رغم انك تسخر من نفسك لهذا
الاقرار ...

ارأيت اننا نتعود في البيت اصول غش انفسنا ،
والكذب على الناس؟ ...!

لو اننا نملك حق القول لو الدائنا ، ان هذا الذي
يقلنه لا يتفق مع الحقيقة ، او مع التطور الفكري الذي
وصلنا اليه نحن ، اذن لاعتدنا ان نجاهه الباطل بالحق ،
وان لا نترك الضلال يسبح في نفوس محدثينا بما نغدقه من
المديح والثناء المزيفين؟ ...!

اننا لانكتفي ان نكذب ... او نتعود الكذب بل
نغش ... ونحول دون الهداية والتصويب ...!
ان داء والدتك يمكن احتماله ، بأن تقتصد قدحاً من

خمرة الليل ، اوساعة من ساعات السهرة ، حتى تتمكن
من ان تستعد للهرب في الدقيقة التي تفتح عينك واذناك
فيها لمشهدا وتلاوتها

ولكن المصيبة في ان لا تجسر على الهرب .. لان
الحكمة تراقبك ... والسخط ... والغضب الالهبي
ينتظر انك ان هربت !! ...

ان اناية المعرفة هي التي تدفع الامهات الى مثل
هذه المواقف !! ...

وان اناية المعرفة هي التي تدفعنا نحن الابناء الى
هذا التبرم !! ...

ومتى تتلاقى الانانيتان ؟ ! ...

هذا صعب اليس كذلك ؟ ! ... ؟

نعم سيظل صعباً تحقيق هذا اللقاء الى ان تتلاقى
العقول والثقافات والافكار ...

وتقول ايضاً ان والدتك كثيرة الانتقادات ، ان

شيئاً من عاداتك لا يعجبها ، انها تريد ان يكون لك
شاربان كبيران ، وطربوش اسود ، وان تأوى الى البيت
مع الغروب وان تصلي بها اماماً كلما اذن المؤذن للصلاة
حال والدتك غير مزعجة

لو انني كنت مكانك لتواريت عن انظارها بعد
سكوت عن نصائحها ، وجملت كلامها كياه الغدير
لا تجري الا لتصب

ان مصيبتك بوالدتك اقل من مصيبتى بوالدتي
ان والدتي لا يشغلها شاربى فهى تزعجني في كل
صباح ومساء باحاديث عن اناس لا يهمني امرهم ، بل لا
يهمني اهم موجودون في الحياة ، وتريدني ان ادخل
الجدل في انتقاد حياتهم كما لو كانوا جزءاً مني

ان والدتي متطفلة على حياة كل انسان ، تبحث
خصائصه وخصوصياته ، وتفرض على ان اشاركها هذا
البحث ولكن والدتك تبحث في امرك انت فهى تحب

لك المظهر الذي ترى فيه الجمال المشبع لرغبتها واختيارها
انها تجدد الرجولة في الشاربين وتريدك رجلاً
بشاربين... اترى اى بون بين امي وامك... تصورني
بربك قابلاً امام والدتي ، شاخصاً نظري بها ، تتحدث الي
في مثل هذه السخافات ، وانا لا ادري في اى عالم علوى
اسبغ ..

قد تستطيع ان تخياني هكذا : مسترسلاً مع
نفسي في الخيال امامي امرأة عجوز ، بشكها الهرم الذي
يوحى الاطمئنان .

هي تتحدث وييدها مسبحتها ، وانا انظر اليها شارد
الفكر كأننى اكبر ما تقول واقدره

هي تبسط الحكمة والعظة في وقار ، وانا اظهر الفهم
والادراك في وجوم

مثل هذه الصورة لو عرضت للانظار لا يشك احد في انى
خير الشبان الطوع لامهاتهم ، وانها خير الامهات

المرشدات الواعظات لاولادها

ولكن تصورني بربك حينما تتحرك شففتها لتسألني
رأبي في الذي قالته ، وحينما تدرك من جواب القيه
مسايرة اني لم أفقه مما قالته شيئاً ! ...

فتكيل لي اللوم والتقريع انتقاما لشعورها بالتصاغر
امام احتقاري حديثها واعراضني عنه

وتصورني بعد هذا حين اشعر اني بعدت بل
يئست من العودة الى عالمي العلوي الذي كنت سابحاً فيه
تصورني وانا انتقل من هذه الانفعالات النفسية
الى الضجر ؛

ليست صورة جميلة هذه الصورة ؟ ! ...

امرأة عجوز ، رافعة يديها الى السماء تدعو كل سخطها ان
ينزل على ، وشاب مبعثر الشعر ، ممزق الثياب ، رافع ساعديه
نحو السماء ، يتهددها ويغدق عليها ماشاء من السباب . . .
ولحاف وفراش وثياب وكتب ودفاتر واقلام وحب و تبغ و .

... من كل ما تحتويه غرفة الشاب مبعثراً في كل مكان

من الغرفة ؛ ليست صورة جميلة هذه الصورة ؟ !

انها ترمز الى حقيقة واقعة في كل بيت...

تري لو عرضت هذه الصورة في السوق كم

تساوي من المال ؟ ... اظن ان احداً لا يشتريها رغم

عجابه بها ووقوفه امامها ساعات طويلاً لأن واحداً في

الشرق لا يريد ان يعلق على جداره امماً جديدة الى جانب

امه ؛ وشجاراً جديداً الى جانب شجاره مع امه .

أترى كيف اننا نعاني الداء نفسه ؟ ! ...

تقول ان الشارع يضيق كل صباح وظهر عن اتساعك

وانك حين تسير تعثر رجلاك حتى بأحجار الرصيف الضخمة،

وانك كثيراً ما شج رأسك بجدار او سيارة، او اصطدم

صدرك بانسان او حمار ...

انت تعزو ذلك الى ما تعانيه من ذبول هذه

الاصطدامات العائلية .

انا اصدقك لأنني كثيراً ما كنتُ مثلك وعانيت
الذي تعانيه .

فأنا لا أغلق باب الدار حتى أقف طويلاً في الدرج
الموصل الى الشارع استعرض ما كان في البيت وما جرى
من نقاش وجدل فاحتقر الدنيا التي تضم امهات كهؤلاء
الامهات ؛ لا همّ لهنّ الا ان يسجن في عالم محتقر
هنزيل كل ما فيه يمكن الاستغناء عنه فان هجرتُ الدرج
الى الشارع كان ميزاني لا يفرق بين المشاة عليه وبين
من خلفتهم وراء باب الدار .

ان كل الذين لا يفهموننا نحن الادباء يمكن
الاستغناء عنهم بل هم محط سؤالننا دائماً عن الدافع الى
خلقهم وایجادهم . . .

ان حالك غير محزنة ايها الاخ لأنها صورة منعكسة
عن اسبابها فأنت قد لا تعلم في نفسك أشياء اريد ان
اذكرك بها . . .

اني لا اذكرك بهذه الاشياء لا أقول لك انني اعلم
عنك ما لا تعلم انت ؛ بل لأدلك الى سبب من اسباب
شدوذك في الحياة .

اذكر جيداً واعترف بصراحة . ألت ساط اللسان
مهاجماً كل فكرة نقادة لكل رأي مسرفاً في التشهير
والفضح واعلان العيوب التي تكتشفها فيمن تعاشره
او تصادقه ؟ ..

إعترف جيداً ...

إنك لا تستطيع أن تنكر أن ذلك بغض رفاقك بك
لأن ما أقوله يؤيده تبرم اصدقائك بك كلما جالسوك
اعترف انك كذلك اقول لك مسبباته

انك لم تعتد الكذب ، لهذا سأقول لك السبب :
انك على ما وصفت مما بينك وبين امك لا تجسر
ان تقول لها أف من الضجر والكنك لا تقوى
على احتمال رأيها ، والصبر على فلسفتها ، لهذا تمتلكك

السوداوية وتحكم بروحك فتنشأ نقيمتك على كل شيء في الحياة، واحتقارك كل انسان في الوجود. انت تصبر كثيراً على والدتك احتراماً لشيخوختها، واعترافاً بجمال تربيتك ولكنك لا تستطيع ان تصبر على هذا الذي يبدو من رفاقك ومعاشريك . . .

فهم اذ يظهرون بغير مظاهرهم ويلقون الآراء على غير استقامة ترى انهم يستحقون الاحتقار والتشهير لهذا ثور وتزبدوا أنت تنتقد وتشهر، تهشم وتحطم... فأنت صادق في كل مواقفك، سديد الرأي في كل ما تقول، وانت تنتقم من المحيط بكامله فيما تتخلق به، انت تنتقم من والدتك فيما تعامل به اقرانك، انت تعوض شخصيتك ما خسرتَه امام والدتك فيما تعلنه لعشرائك .

ان الذين يبغضونك لا يستطيعون ان يقولوا انك على غير حق في كل انتقاداتك، هم لو نظروا اليك بمنظار بعيد عن انانياتهم لأقروا لك انك المبشر الوحيد للصدق

والاستقامة ؛ ولكنهم اذ يكذبوك بالموافقة والتأييد
والمديح والثناء يريدونك ان تقابل كذبهم وتضليلهم
بالكذب والتضليل .

انك لا تستطيع ذلك لأن حياتك البيئية لا تتيح
لك ذلك

انهم يرونك متحدياً لهم متطاولاً على حرياتهم ،
تمثل دور المحامي فيما يعنيك ولا يعنيك .

ارأيت انك غريب في جوك ؟ إن غربتك لن
نزول ، ولا يمكن ان نزول الا اذا استقامت حالة عائلتك
وصلح امر والدتك .

انت لست مثلي

انني قلت لك في رسالة سابقة ان معرفتك اياي
لا تمكنك من العيشة على غراري .

لاني انتقم بالسكوت وانت تنتقم بالكلام ، اما

اضم الماء الى الم ، وأبني عذاباً على عذاب ، لا تفجر في
قصيدة ؟ او كتاب .

اما انت فياويح ماتعاه انت ...
انك تفرغ ألمك بهذا السخط الذي تعلنه ، وتفارق
احساسك وشعورك بضرورة الاصلاح فيما تنثره في
جدلك مع الناس .

انك لو جمعت آلامك في كتاب ورفعته الى من
بيده الساطة والحكم لهديت الى طريق الاصلاح ان كان
هنالك من يريد ان يرى طريق الاصلاح .

ارأيت ؟ لقد استطعت ان احدثك اليوم طويلا
واكثر من كل يوم !! احدثني عن نفسك اسمع اليك
واكتب الي عن حالك افرأ اليك .

انا صبحت احبك لانك تحدثني في اشياء لا تبعت
الالم ... ولكن توحى التفكير باستثمار الالم ...

حدثني ...

اكتب إلي ...

لا تنسني ...

لن انساك ... لانك الواقع الذي نترش عليه حقيقتنا
الضالة في ظلام نفوسنا ...

٧

تقول ان والدتك شقية بك ؟!

انك عالة على روحها ...

هذا صحيح ! ...

كل الاطفال دملة في جسد الامهات لا تشفى ولا
ينتهى ألمها ...

كما نتبرم نحن بعقول امهاتنا ... هكذا امهاتنا
تتبرم بالعطف الذي تعانينه !! ...

انا داء عضال في نفوسهن يظهر بالشفقة والحنان !!
آلني جداً انك بلغت من الرقة في الحس ان تدرك
ما في اعماق والدتك ! ...

اجلد الناس على مجابهة الحياة الذين لا يعرفون مافي
اعماق غيرهم من احساسات ...

ان هذا الداء هو الذي يربط الانسان بلانسان
ويكون مصلات الرحم ويؤسس العائلات ، ويمتص
المصالح بين الافراد، ليكون المجتمع؟! ...
ان والدتك - كما تقول - تطفى السراج اذا اوقدته
لتقرأ! ...

انها ليست بخيلة تشع ان يهدر النور ...
ولكنها بخيلة بصحتك ان تهدرها من اجل قراءة
كتاب ...

لله در العطف كم اطفأ من سراج لو ظل متقدماً
لاهدى الى خير سبيل!! ...

ان الكتب عند والدتك ليست اكثر من لغو
وحشو افرغه الكتاب على القرطاس ليقتلوا وقت امثالك
من الشباب الغر!! ...

هذا لو قاله مثلك لكانت فيه بعض الحكم لان الذين
كتبوا حتى الان لم يكتبوا اليك، بل الى لسانك الذي يريدون
ان يدور باسمائهم، ان المؤلفين، جزارون ينحرون اوقات
الناس، وهم يستطيعون ان يكونوا بنائين يشيدون
عقولهم وارواحهم!!!...

لو ان والدتك قالت لك اكتب اشغل لك المصباح
لكانت جديرة بالتقدير...

لأنني اعتقد انك ان كتبت تستفيد وتفيد اكثر
مما اذا قرأت...

الذي ستكتبه ستكون انواره من قلبك، من ضميرك،
من حسك، لأنه منعكس عن حياتك وعن حياة
محيطك، وعن الاصلاح المنشود للحياتين.

اما الذي ستقرأه فهو صورة عن هذا الجامد الذي
قذفت عليه لتؤثر فيه لا ليؤثر فيك... لتستثمره
لا ليستثمرك...

انت داؤك هين بالنسبة الي
ان والدتي تمزق ما اكتب ...
تطفيء السراج دون الفكرة التي تتسلل الي قرطاسي
مع النور ...

انها تقول : الناس لا يجدرن بالكتابة من اجلهم
لانهم لا يقدرن ما يلقي بين ايديهم .
انها تقول : اغرق في لامبالاتك تحصل على اللذة
من املك بتحقيق رغائب من مبالاتك ...
انها والدتي التي تقول كل ذلك ؟! ...
ارأيت ان والدتي اكثر خطراً علي من والدتك
عليك ؟! ...

اسمع اقص عليك ...
انا ايضاً اسخر من نفسي كثيراً في بعض الاحيان ...
واشترك مع والدتي في السخرية من حالاتي ...
مرة كنت وحدي في غرفتي ...

و كنت اقرأ قصة « فقير يتسول » فامتلكني ما فيها
من شعور وصدق، فرحت اقرأها كما لو كنت انا ذلك
الفقير

واذا انا القى كلامه كالخطاب

واذا أنا اردد نعمته في صراخ

واذا انا امثل حكمه كما لو كمنته

واذا والدتي تتسأل الى ثقب الغرفة فتراني كما انا

يا لها ليلة ليلاء

لم تحدثني . . . لم تزعجني . . . لم تبرح ثقب الغرفة حتى

انتهيت ، فدخلت ببطء

نظرت اليّ في حنان وعطف . . . الى ان اقتربت مني

فأمسكت برسغي . . . ثم برأسي . . . انها تزن حرارتي ،

وتتحقق من سلامة رشدي . . . انها تبين مصدر

ما انا عليه ؟ !

فهمت منها كل شيء . . . ! ! ! . . .

لقد افقدني الفهم كل نشوة!!...
مساكين ايها الادباء... انكم تعملون لتبنوا في
رؤوس الناس تماثيل لجنونكم بالمثل الاعلى لا لسموكم اليه...
انها حرب شعواء اعلنتها والدتي منذ ذلك اليوم
بينها وبين كل كتاب لا بينها وبينني؟!...

الامهات لا تعرف ان كل كتاب انسان يتحدث
الى القراء . كما يتحدث اللسان الى المسامع!!
انها تعرف الخلوة للسكوت...
ان كل الذين يتكلمون في خلواتهم مجانيين...
لأن الذين يسمعون الى المتكلمين في الخلوة لا يفهمون
ما يسمعون؟!...

تصور جيداً:....

نعم تصور انني انتهيت من الفحص الذي اجرته
والدتي لا أعصابي الى وقفة حزينة امام اطلال من الكتب

الممزقة التي حكمت عليها والدتي بالموت لأنها سبب ما أنا
فيه ... كما كانت تظن ...

ليت والدتي أقيمت معذبة لكل الأدباء ، اذن لما آلمنا
ان نحمد مثل هذا الادب الرث الهزيل الذي يشوه ارواحنا ...
ولكنها اقيمت معذبة لي وحدي ... فهي كالغارة
الجوية على كل طفلة لافكاري وكل طفل لروحي !! ...
انني لا اجسر ان اتوسل اليها ان تتركني لما احب
لاني ادعوها الى الرضى عما لا تحب !! ...
اترى كم اعاني من والدتي ؟ ...

مرة واحدة استطعت ان انتهر فرصة وجود احد
اقاربي ...

ان هذا الرجل جسد سقيم بالرغم من احسانه الي
انه يحبني ... يقدر مواهبي ... يعتبرني اكبر اديب في
هذا البلد ، ولعل اعتقاده هذا هو السبب في سخافته ! ...

جلس هذا القريب مرة يمتدحني امام والدتي ، انه
يقول لها اني ساكون شيئاً مذكوراً في عالم الفكر ...
ان اسلوبى غريب فريد ، لا تقف دون تأثيره
صعوبة في الفكرة ، أو بلادة في الفهم ، ليس وحده الذي
يتحدث بهذا عني ، كل الذين يعرفوني بهذا يتحدثون ...
هكذا قال لو الدتي . .

شمري !! ... قصائدي ؟ !! محاضراتي !! ... انها
محط اعجاب كل الناس !! ...

ان جماهير غفيرة من القراء تجندوا في جيش
الاعجاب بي ؟؟ ...

انه يبارك لها وجودي ...
انه يحسدها على امومتها لي ...
انه يفخر بقرابته لي ..
انه ... انه ... انه ...

كل هذا ووالدتي تسمع اليه ...

وما ان فرغ حتى نظرت اليه شذراً ...
انها لم ترض ان يسمعي هذا المديح ...
لو انها عرفت اني اكذبه في اعماق نفسي لما ازعجها كلامه .
انني آخر الناس الذين يعتقدون اهم شي * مذكور ...
لهذا اسخر من كل معجب بي ... ان الكلام الذي
يجب ان يلقي ليبعث الاعجاب لم يخلق بعد ! ...
لان الكلام بغية الاصـلاح لم يظهر بعد ...
ان رأى الناس في * ، وفي ادبي لا يغريتي ابداً ...
فهم لو اكتشفوني لحاربوا بعضهم في * ...
لهذا كانت والدتي وقريبي يتحاربان في * .
انه اتخذ شكل المذيع يردد ما يسمع ؛ ...
وهي اتخذت شكل اللسان يردد ما تمليه عليه
المصلحة ! ! ...

ان مصلحتها ان لا استرسل مع العاطفة فاوقف
حياتي للادب ! ! ...

ان زوجها - والذي - كان يقول لها اتعس الناس
في الحياة هم الادباء ...

لانهم يعيشون في احلامهم زاهدين عن دنياهم .
انهم يتفخون بانتصارهم على القوطاس اكثر مما
يتفخون بانتصارهم على الحياة !! ..
انهم قرابين محترقة ...

الذي لا يتسول ، لا يحظى باللقمة !! ..
والذي يحظى باللقمة لا ينتج ادبا يستحق الحياة ..
هذا ما اورثها اياه زوجها عن الادب والادباء فكيف
ترضى لي هذا المصير ؟ ... !

ان كل الذين يمتدحوني مجرمون يحنون علي ...
ليست وحدها التي تقول هذا ...
انا ايضا اقوله ...

هي تقول ذلك لتشعرنني بالاخفاق في جهادي
الادبي ...

اما انا فاقوله لاني لا اعتقد بتقدير لا يقوم على
اساس التطوع لتنفيذ باعث الاعجاب ...

انها تريدني بعيداً عن الادب ...

منصرفاً الى دروسي ... لاني مستقبلاً لنفسي ...

لمصاحتي ... علني اشعر بالسمادة التي يشعربها كل الناس ...

اما انا فاريذني لغير هذا ... لاني لم اتهيأ لهذه

الحياة ... ان روحي التي كانت تحملني الى كل موطن

نمل ، والى كل مهب نسيم في الارض او في الافق ، لتريني

افاقاً ودنيا لا يتاح للطالب ان يراها ، هذه الروح تشعرني

اني لم اخلق لجسدي ... فكيف احتمل الصبر على مسح

هذه الروح ، وتهيئتها لغير ما خلقت له ؟ ! ...

ان والدتك لا تراقب كتبك ...

ان والدتك لا تسكت مادحيك ...

ان اكثر الامهات يسكرون بمديح اولادهن ،

لاعتقادهن ان كل تفوق لهن ، انتصار لهن ، ولا مومتهن

ولحسن تربيتهن ليت والدتي هكذا بين النساء ...

انها عدوة لدودة لكل ما احب !! ...

ان مصيبتى بوالدتي ليست كمصيبتك بوالدتك !! ..

ولكنها مصيبة على كل حال ! ...

اذكر يوم فصلت عن المدرسة !

الم اقل لك ان والدتي كانت على حق في كل ما

قالت له للمدير ؟ ! ...

انها توقعت لي هذه النتيجة المؤلمة ...

اتظن انى استطيع ان اكون شيئاً في الحياة بعد

هذا الانفصال ؟ ! ...

ان المجتمع الذي نعيش فيه يعبد الاسلحة ...

ان شعباً بكامله كالشعب السويسري الذي ضرب

رقماً قياسياً في عبادة النظام لا يسوى عند الناس اكثر

من قنبلة حديثة يخترعها شعب اقوى منه . . . اما استقراره

المنشود فليس الاحكام من احلامه هو . . .

ان اجتياح مثل هذه البلاد قد لا يشغل ضمائر
الناس اكثر من دقائق ، ولكن اعجابهم بالاقوياء الذين
تسلطوا عليه يشغلهم كثيراً ...

الم اقل لك انا سننزل ميدان الحياة بلا سلاح ؟ !
لأجل ان اخفف بعض مصيبتك بوالدتك اسمع ما قالته
جواباً على هذا النبأ المزعج الذي كتمته عنها شهوراً ،
الى ان لمست من قربي هذا الاندفاع في مديحي ، ورأيت
ان اجسم امام والدتي قيمة الأدب ! ...
اني لو انبأتها بهذا النبأ قبل ان تعرف من انا
لا اشك ابدا انها كانت ستسخر بي ...

ولكن حديث هذا القريب مهدي السبيل ، ومع
ذلك اسمع ما قالته :

— بني ... الآن استطيع ان اندب آخرامل لي
بسمادتك ...

كنت اعيش من اجلك ... ولكنك الآن

يجب ان تتحمل عبء الحياة وحدك ...

او عيت معنى هذا الكلام؟! ...

انها تريد الطرف المادي منه دون شك ، لأنها
لا تستطيع ان تفهم الطرف الروحي الذي لا يكتشفه
الا امثالنا ...

انها لو ارادت من كلامها ... ان العطف والحنان
علي قد انقطع معنيهما ، وانها اصبحت تعيش لنفسها
حرة من التفكير بي ، لأصابت الهدف ... وكانت
اقتربت من الحقيقة الواقعة ، وكنت ادركت قيمة
الروابط المادية التي انقلبت الى غرائز ، واصبحت هي
المعنويات المبحوث عنها في الطبائع والعادات والجولات
الروحية السامية ...

ولكنها شوهت هذه الحقيقة ، و ارادت بما قالته ان
تعلن حبسها المورد المادي ، وتقريرها اطلاق حريتي في
انتهاج الخطة التي تمكنتي من الحياة !! ...

لم أتألم يومئذ لما قالته ...

لأنني كنت جد راض عن هذه النتيجة الموصلة
إلى الحرية، ولأنني آمنت باقتراب فجر اليوم الذي استطيع
فيه أن أكون الشخص الذي اخترته أو اختارته لي
الحياة . .

إن والدتي في ذلك اليوم لم تكن مثلها في أي يوم
سابق !! ...

إنها هادئة، تحاول أن تتحمل الصدمة بهدوء . . .
ولكنها على كل حال غير صابرة هذا الصبر في
كل آن . . .

أنت لم تحدثني عن والدتك في هذا الموقف ولكنني
استطيع أن أقول لك، أن فصولها المزعجة ابتدأت بعد
اليوم الثاني . . .

استطيع أن أقول لك صراحة، وبأسلوبك الذي
حدثتني به . . . أنني كثيرا ما نسيت وجود الدرج المؤدي

الى الشارع فحاولت اجتيازه كاجتياز الارض المبسوطة
فهويت ... واصبت بجراحات مؤلمة ...

قد يكفي ان تعرف من هذا الذهول مدى حرارة
الممارك الصباحية ، اما في الليل ... فاننا لم نكن نحتاج
لاقاء الغارات الجوية الى دفاع سلمي ، وانما كنا نتقيها
بلحاف غليظ يسد الآذان بعد العيون ... وكثيرا ما
يحمي الجسد من تأثير الانهيارات ...

« اكنتم كثيرا مما تعرفه عن نفسك ... »

« لا تكن مجنونا تتحدث بكل ما تعرف ... »

« ان الذين سيقراون هذا من بعدك لن يقولوا

عنك انك عانيت الكثير »

« بل سيقولون عنك انك لا تعرف حقوق

الوالدين .. »

« انهم سيقيدسون حالك بحال سواك وهنا الطامة

الكبرى ... »

«لأنهم ينسون دائماً أنك أنت... لا سواك» .
«وانك فوق ذلك كله، أنت روحك لا جسدك!!»
صدقت... صدقت... أيها الصديق
هذه حال الامهات؟!...
لن ازيدك بحثاً عنهن...
اظنك عرفتهن عن طريق امك وأمي...
ومن عرف امرأة شرقية واحدة فقد عرف كل
نساء الشرق!!...!

رسالتك اليوم تستحق تفكيراً هادئاً
 انها رسالة مستخرجة من قلب الواقع الذي اتخذ
 شكل المألوف ، ولكنه ما زال يخفي بين طياته شكله
 الممسوخ !!

ان الحقائق الدفينة في رمس العادات تحمل كشافها
 اعباءً أثقل من الحقائق المحجوبة بالأنانية ...

اني اصبحت اعتقد انك رسام مبدع ، لما تجيد
 عرضه علي من لوحات تأملاتك ! ...

أليست صورة بديعة متقنة هذه التي تحملها الي في
 رسالتك هذه ؟!

انت تقول واصفاً خادمته ...

« انها سوداء !

منتفخة الوجنتين !

عالية الصدر واسعته !

متحجرة الثديين مبوزتهما !

طويلة القامة في اعتدال !

منضدة الاسنان في نظافة !

سوداء العينين في كحل !

خفيفة رشيقة مهذبة الحديث !

مطواعة محبة للعمل في نشاط !

تطبع القبل على الايدي في زهد !

وتطبع القبل على الخدود في خيال !

هي تعرف انها امرأة ...

ويجهل الكل انوثتها وآمال الانوثة فيها !

ترى لو كنت رساماً ، او نحاتاً المحوجني غير الذي

ذكرته من وصف لا تقن رسم ، او صنع فتاة زنجية كالتى
فى بيتكم ؟ !

ان الاشكال كثيراً ما يكون لها شفاء وان وضعت
على القرطاس !

اعترف اليك ... اننى رأيت خادمته ، او جاريته
او ماشئت فسمها ... اكثر من مرة ... ولكنتى لم
افكر ان اتفرس فيها كما تفرست فيها انت !
انها كانت سوداء ! ... ومن ذا الذى يعجبه ان
ينظر الى الظلام ؟ ! ...

لولا استقباح الظلمة لما اكتشفت الانارة ! ...
ولولا جمال الجسم الابيض البض لما ابتكرت تجارة
الرقيق ! ...

لم يكن شاغلي عن جاريته سوادها فقط ! ...
بل اطرافها المتواصل أمامي ...
هذا النوع من الشخصية المريضة انا اكرهه !

احب النساء الي لا ذوات الجسم الابيض البض بل
اللواتي يحملن شخصية تدفع الشهوة الكاذبة وتكتشف
الميل الصادق

ليست كل جميلة استطاعت اجتذابي
انت تذكر جيداً اني في ليلة دعوتك الى سهرة .
واكنك لم تتمالك ان تقضي كل الليل مثلي
لم احتقرك اذ ذاك . . . ولا استسخفتك . . .
انت لك شأنك وميلك . . .

لك ان تحب الجسد . . . وجمال الجسد . . .
اما انا فكنت جد راض بتلك القبيحة الدميمة ذات
الاسنان الناثئة والعينين المنكسرتين .

انها لم تبخل علي بكل شيء . . . حتى بحديث عذب
عن ماضيها ، وحاضرها ، وعلاقة الناس بها وبقبحها ،
كانت تحدثني انها امتهنت تجارة الشهوة استرسالا لرغبتها
الجنسية . وانها تعانني كثيراً من اعراض الشبان ، وانها

إذ رأيتني رأيت الإنسان الذي يستطيع أن يفهمها ...
لهذا هي لي ...

لقد كانت تتوقع أن لا استلقي إلى جانبها ثانية ...
وكانت ترسل الحشرات والآفات لهذا ...
ولكنها كانت تعزى نفسها ، وتدفع دموع اشفاقي على
قبحها بهذه الكلمات ،

« انني كالظلمة الذي رأى جدولاً ... »
« سأشرب إلى أن انتفخ ... ربما مثل بي دور
الضفدعة فت ... »

« وإن لم أمت ... فسأنظف على الحان خطوات
الاسترسال ... إلى أن اقع بأنسان عجيب مثلك ... »
« إن انطفأ هو كل ما بعد الرغبة من الجمال !! ... »
انك إذ هجرتني ... وانتهلت وحدي من هذا
المعين الغريب ، لم اشك ابداً اني اكتشفت ما في الم
القبس من لذة صادقة لا يحظى بها الا المخاطرون

بأذواقهم !! ..

لم تكن كاذبة تلك الدميمة ، ولا حمثلة متقنة دورها
الذي اسبغه عليها واجبها !! ...

ان الشفاء هي هي عند المرأة الدميمة ، وغير الدميمة !!
أريت كيف ان معرفة النفس توحى لذة اقوى

من الغرور

فأنت قد تكون عرفت ذلك في خادمته او جاريتك
الزنجية ، فاسترسلت في اكتشاف ما في نفسها مما
لا يستطيع اكتشافه بنظرة خاطفة اختلسها حين خطر أنها
امامي ...

انك معها .. مع كل جزء من اجزائها ...
بل قد تكون معها في خلوات فتتشغل ببيئتها ،
وكفيها ، وصدرها ، وثديها ، وقلها الخافق !! ...
انك تستطيع بعد هذا كله ان تتحدث عن الزنجية ،
كما تتحدث نحن عن الحوريات اللواتي يملأن الارصفة ،

او ترصدهن على الأرضة !! ...

لهذا انت اجدت وصف الزنجية ، واجدت اثارني
للانشغال بها ...

انت تتحدث عنها كما لو كنت تتحدث عن شيء
تجبه !! ...

أما انا فلا استطيع ذلك ، لأنني ما ازال انظر اليها
نظرة المشفق !! ...

انا لا استطيع ان احب من اشفق به ، او من ارثي
لحاله ، او من يستحق مساعدتي ، او من يستجدي عظمي ...
انا لا احب الا الذي يشعر بالاستغناء عني ،
وبالتفوق علي ، وبكل شيء يشغلني .

فكيف تريدني ان اعنى بجاريك السوداء وان
اتحدث اليك عنها حديث العارف ببواطنها ، المكتشف
لاسرار جمالها !! ...

انت تصور استلقاءها على فراشها الذي تعتمد بسطه

بالقرب من فراشك !! ...

وانت ترسم لي اناملها تتحرك بين اناملك لتشعرك
بوجودها ! ...

انت متفنن في وصف ارتجاف شفيتها في كل مرة
تخلو الغرفة الا منكما ، كأنك تنتظر ان تسمع مايجبس
الخوف وما يحول الحياء دون اسماعك اياه !! ...
ان النساء نساء ...

لا فرق بين سوداء ويضاء ، ولا بين أمة وحررة !
ولا بين متعامة وجاهلة .

انك محق في ان تحسن تصوير هذا كله ، وانك
لتدلي الى سمو روحك ، واستقامة حسك ، ونقاوة ضميرك
في حديثك هذا ! ...

ان مجرد اكتشاف ما اكتشفته في بائسة مسكينة
كجارتك ، يكفي لاثبات شعورك بوجودها كإنسان حي ،
له ما لسواه ، من ميزات ...

وكان ادل على ما ذكرت من محاسن روحك ،
انتهاؤك من حديثك هذا الى الم الاخفاق الذي تمناه من
اعراضك عنها ، وزجرك اياها ، واستبدالك آمالها
بأوامر ، وشواغل تدفعها الى الانشغال بغير آمالها ؟ ...
ان في موقفك هذا كل القسوة ... بالنسبة لها ...
ولكنه العقل كل العقل ، والحكمة كل الحكمة
بالنسبة لهذا النظام الاجتماعي الذي حملها اليك لتكون
خادماً ، لا لتكون امرأة ...

حسن جداً ان نجس شهواتنا عن طلابها ، في سبيل
الحدود ، والواجبات ، ولكن سي جداً ان نقيم حدوداً
وواجبات ...

انت تحدثني عن اخيك الصغير ؟ ...
لا ... لا تفصح سوءة اخيك فهذا مشين بالنسبة
لسواي ممن قد لا تتسع مداركه لتقدير موقفه ؟ ...
انه القى بها جيفة بعد ان بصق شهوته على صدرها ! ..

وانك مشفق عليها ، وعلى تلك النظرات البريئة
التي ، كانت تسدها اليك ، لأنها استبدلت بالحزي ،
والتصاغر ...

كانت ملاكاً فأصبحت شيطاناً !! ...
انك لا تقدر ان تحدد سمو الملائكة لتقرن غرائز
واخلاق الناس به ...

وانك لا تستطيع اكتشاف نفسية الشيطان بغير
ما صورت لك ، لتقدر ان تزن اعمالك بأعماله ! ...
قد يكون اعراضك عنها هو الذي جعلها شيطانة
مريدة . لا استرسل اخيك ! ...

انك امام امر واقع قررته انت :

شعورها بفتوتها !! ...

شعورها بفتوتك !! ...

شعورها بانسانيتها !! ...

شعورها بانسانيتك ! ...

هذا الشعور المتحد اذا ما اكتمل لم تعد هنالك
مقاييس اجتماعية . . .

ان المرأة تعرف انها كل شيء بالنسبة للنظام
الاجتماعي، أما إنها غير امرأة فهذا ما لا يمكنها ان تعرفه! . . .
ان نظرة قد لا تكون مستهدفة شيئاً من جسدها،
تحفر في اعماقها ما ليست قادرة على حفره تلك النظرة
التي تستهدف الشيء .

ليس مصدر هذا قراءة الأفكار ، والغايات بل سماع
نداءات الذات . . .

انت تقول ان اعراضك لم يكن احتقاراً بل شفقة . . .
ها انت ذا نفسك تكتشف اضرار الاشفاق
والحنان . . .

إن الاشفاق ، والحنان ، كثيراً ما كانا سبباً
للضحايا . . .

خير لي ان امر ببائس مسكين فأخذ عنه فكرة من

ان اعطيه قرشاً ...

الفكرة قد تنقذ من هو بالقرب من هوته فتبعث
فيه الشخصية المتخدرة بالقناعة ...

اما القرش فقد يلهيه عن النعمة ، فما يعرف طريقاً
الى شخصيته ...

انك تقول ان مشهدها حين ذكر الاحساب
والانساب مطرقة ، لاوية الرأس ، لا تعرف اي بطن
حملتها ، ولا اي رجل قذفها بشهوته للوجود ، يبعث في
نفسك ابعـد حدود الألم ... فتذهب بعيدا في النعمة
حتى تشور على نظام الحياة ، وتطلب تهديم العائلة ، تهدم
بها هذا التفاخر ، وتعمر قلوب هؤلاء البائسين !! ...

وتقول علاوة على ذلك ان مثل هذا الموقف
يجعلك تنظر الى هذه الجارية نظرة اكبار ، لأنها
تستطيع ان تعيش في هذا الجو من الألم !! ...

حقائق لا انكرها تلك التي تقولها ، ولكنها ليست

مبررا لما كان بينك وبينها ، إن احتقارك روحها المتوثبة
اليك ، اشد وقعاً في نفسها من اشفافك عليها !! ...
انا لا اقول لك ضمها الى صدرك ، واعطها ما
طلبتة منك !! ...

انا من الذين يلومون شقيقك لأنه اقدم على
هذا العمل !

انما اريد ان تفتح بيدك الغل الذي حملها اليك ...
ان تقول لها انت حرة ، اذهبي الى الصدر الذي تريدينه
قد لا تذهب ... انت حاولت ذلك ، وقتته ولكنها
لم تذهب ... هذا عرفان للجميل منها ، لا لحسن رعايتك ،
ولا لخدماتك ... بل لرعايتك اياها في حياة لا تستطيع
ان تكون فيها حرة كالحرائر ، طليقة كالطليقات ،
سعيدة كالسعيدات ...

انت لو اعطيتها من المال ما يساعدها على الحياة
الحرّة ، ولو هيأت لها الزوج الذي يساعدها على انتهاز

اللذة الجسدية ، ولو أحييت في نفسها الشخصية الغافية ،
اذن لترككتك ، ولا آمنت انك خير رجل احيائها ، بعد
الموت الروحي ! ...

انت لو ذكرت جيداً ماذا تصنع الجواري في حفلات
الاعراس لازداد أملك ...

إن كل النساء ينتظرن هذه الليلة ليشبعن
غرائزهن الا الجواري !! ...

وان كل النساء يظهرن انتظارهن هذا مزيفاً
بافراحهن ، مستوراً بغبطتهن وسرورهن ، الا الجواري !...
انهن يعشن نساءً لا كالنساء ولا كالرجال !! ...

لهذا هن يتألمن ، ويحرصن على ان لا يظهر المهن ،
الا بالطاعة ، وحسن تأدية الواجب ، والفخر بأناقة الحفلات
لان ذلك كله يبني لهن شخصية وان كانت غير التي يحلمن
بها او غير التي يشعرن انهن حرمن منها .

ثم مالك لا تتحدث عن جارتك السوداء هذه

ولا تحاول ان تفتش عن مصدر هذا الشعور الغريزي
الذي دفعها اليك .

انك دون شك تخاف ان تتحدث عن علاقة
عمك بزوجته ، وعن علاقة امك بأبيك ، وتحاول ان
تقنع نفسك ان هذه العلاقات لا تكتشف منها جارتك
الا الشكل الطبيعي الذي تعرفه انت ولا يشغلك ! . .
هذا حق !!

انت غير مسؤول عن شواغل هذه العلاقات ولا
عن اسباب نظرتك الطبيعية اليها ، لأن ما هم عليه منتظرك
في يوم ما . . .

ولكن كيف تريد ان تسكت عاطفة جارتك
التي لا ينتظرها هذا اليوم ، ولا من مصالحة ابيك وامك ،
واخيك وزوجته ان ينتظرها ، مخافة ان تضيع
جهود هذه الجارية ، وخدماتها ، ونشاطها ، وحسن
رعايتهم لها ؟ ! . . .

ان اليأس من الأحلام النفسانية يساعد على تقوية
الشعور، وهداية الحس بقوة وسرعة الى اكتشاف
وجود تلك السعادة النفسية عند الذين ظفروا بها ..
قد تعرف جارتك عن علاقة ابيك بأُمك ، اكثر
مما تعرف انت ، بل اكثر مما يعرفان هما نفسيهما ...
لأنها تراقبها برغبتها لا بعادتها ، وبألمها لا بوظيفتها ،
وبحسدها لا بسرورها ...

ان الألم الذي تعانيه الجواري هو الذي يورثهن
هذا الخذلان النفسي ، ويجعل بينهن وبين شخصياتهن
حواجز لا يجسرن على تخطيها ...

سل رجال الحكومة ... حراس الاخلاق كم عدد
الجواري في نسبة بائعات الجسد بين النساء في كل بلد من
البلدان التي يحكمونها ؟ !

ليس هذا وليد استعدادهن لهذا الامر ، ولا هو
وليد سوء تربيتهم ، ولا هو ايضاً وليد شذوذهن ،

وشهوانيتهن .

لا ... ان الذي يقول هذا مفتر ، يهضم هذا
القسم من النساء حقوقهن !! ...

إن السبب الوحيد هو ذلك الألم الذي يعانينهن
بسبب اليأس وهذا الحرمان المفروض عليهن بسبب
ظروفهن الاجتماعية وما وصفته من حال جاريةك .

تصور كم كان يزعجني ان ارتدي ثوب العيد الجديد ،
وجاريتي تنظر الي وهي في ثيابها الرثة البالية ؟ ... !

انها في كل عيد تقبل يدي !! ...
ولكنها اذ تقبل يدي توخزني بنظرات الحسد ،

لا السرور ...

لماذا ارتدي انا الثوب الجديد ، وابقى لها الخلق

البالي ؟ ... !

اليست هي انسانة حية تخضع للتقاليد والعادات
وتريد ان تفرح حيث يجب الفرح ، وان تعلن السرور

بالثياب والزينة ؟ !

كل هذا ننساه نحن ، او نناساه ، بل قد اصبح اهماله
في حكم الأمر الطبيعي الذي لم يعد يحرك بنا عاطفة ،
او حنواً ! ...

اما يكفي هذه الجارية الزنجية الما ان تجد بنات
اسيادها يخطرن امامها بالثياب المزركشة ، ويفتحن
الابواب الى الشوارع كلما خطر لهن ذلك ، فيذهبن
ويجلن حيث شئن ، ثم يمدن الى البيت بين صخب الافراح ،
وزغردة السرور فيلقين امهات وعمات وآباء واخوة
يفدقن المدائح على جمالهن وانوثتهن ، ويشتهين لهن
اجمل الأزواج ، وانعم حياة زوجية ، وهن ، الجاريات
البائسات ، صابرات على سكوت الألسنة عن كل
ما وهبتهن الطبيعة من جمال ، وشعور اشوى ؟ !

الا تتألم الجارية اذ تلزم المطبخ لتأكل مع الهررة ،
والجرذان ، بينما اسيادها على الموائد يتبادلون الاحاديث

المضحكة ، ويسمرون بشتى اسباب السمر ؟ !
الا يؤلم هذه الجارية ان ترج في غرفة مظلمة
لا يدخلها نور الشمس ، وان تجد صحتها تنقص لهذا
السبب ، بينما اسيادها ينعمون بكل وسائل الصحة ؟ !
انا مجرمون ... بقدر ما نحن مشفقون ...
ترى لو انني اطلقت لجاريتي العنان ، اما كانت
تقدر ان تجد لها حياة ارغد من تلك التي آمن
بها عليها ؟ ! ...

وجاريتك السوداء هذه ، لو انها ملكت حريتها ،
ولا احدثك عن حريتها الاولى بين عشيرتها ، واهلها ،
بل عن هذه الحرية التي يمكنها الحصول عليها بقدر
الامكان فهي لو ملكتها اكانت اسعد منها في بيتك ؟
لا شك ان سعادة الحرمان الذي يحركه التذكير
اجل من سعادة مقترنة بشواهد تثبت انها سعادة رعاية ؟ !
ان الكرم بقدر ما هو جميل محبب وبقدر ما يدخل

الى نفس صاحبه من الراحة والسرور ، نستطيع القول
عنه انه منغص مزعج لنفس من يصب عليه ويستهدفه
من المحرومين !! ...

انني لا اريد الكرم ، ولا الشفقة ، ولا الاخلاص ،
ولا الحنو ، ولا اية عاطفة من العواطف التي يسرنا ان
نذكرها ، لأنني لا اريد ان ارى من هو في
حاجة اليها ...

انا لا اريد الفقر ، لا اضطر للكرم ، ولا اريد الألم
لا اضطر للشفقة ، ولا اريد الضعف لا اضطر للاخلاص ،
ولا اريد الحرمان لا اضطر للحنو ، ولا اريد البغض لا اضطر
للحب ، ولا اريد شيئاً من الاشياء التي تحر كني للقيام
بعمل في سبيل انقاذ او اسعاد اي انسان !! ، ..

اريد ان يشغل كل انسان باسعاد نفسه ، حتى اذا
عمت السعادة الارض وانباءها ، لم يعد هنالك فخر ،
ولا ما يوجب الفخر ، ولا تراحم ولا ما يوجب التراحم .

عندها تفرض واجبات العمل الموزع المسؤوليات
بالنسبة للغاية الواحدة وهي المحافظة على النوع ، واسعاد
النوع ، والمحافظة على الطبيعة وتجميل الطبيعة ومحاربة
المخاطر وازالة هذه المخاطر .

وما يدريك لعل هذا الحلم الذهبي هو المثل الاعلى
الذي يتوخاه الانسان المتدين كأجر له على تدينه ، بل
قد يكون المصلحون الذين نعتوا بالانبياء تخيلوا هذه الحياة
التي تترفع عن الخير والشر فلم تقنع ضمائرهم بصلاح
الانسان الذي زاملهم الحياة في ذلك الجو الابتدائي من
الحضارة والرقى النفساني ، فأمنوا ان نوال هذه الحياة
المثالية ليس بالامر السهل ، لهذا اقترحوها هدية لمن
يحسن عملاً ، واجراً لمن يؤمن بالصالح ، وجعلوا رمز
الصالح الله ، كما جعلوا رمز السعادة الجنة ، كما جعلوا
رمز الجهاد الى هذا الصلاح والسعادة التدين الذي هو
دستور التخلي عن الاضرار بالناس والسعي لسعادة كل

الناس على اساس تطهير النفس والسمو بالروح !!...
ان العاطفة اذالم ترق عن كل هذه المقاييس ، ولم
تتحرر من هذه الدوافع التي تخلق لنا التفاخر بالاعمال ،
لا يمكن ان تحلم بالسعادة السكلية الشاملة ، التي يجب ان
تنقذ من دنيا الخيال ، لتتحقق في دنيا الواقع الملموس !!...
ليس امام العقل البشري مستحيل ابداً ؛ ان الذي
يستطيع ان يدعي الانسانية ، يستطيع ان يعطي هذه
الانسانية حقها من الاندماج في الخير ، والبعد عن الشر ،
بل ان يعطيها حقها من الترفع عن الخير والشر ، لانعدام
الحاجة الى الخير بعد ان يصبح واجباً لا صفة ، عملاً لا
خلقاً ، وبعد ان يصبح الشر غيره فيما نعرفه الآن ، اى
ان يصبح اكثر من العار ، واكثر من مجلبة للنقمة ،
واكثر من مضاد لمصلحة الفرد !!...

ان جارتك حديث طويل ، وانى لا اقدر ان
اجيبك باكثر مما اجبتك الآن .

قد تكون أنت في حديثك عنها تقصد غير هذا
الذي قصده من البحث ، وقد يكون جمالها الاسود
شاغلك ، اكثر من نفسيته ، وقد تكون خطيئة اخيك
محركة فيك الالم أكثر من روحها ولكن هذا كله لا
يعنيني بقدر ما يعنيني الذي كتبته اليك ، فأنا انسان
غريب في اسلوب استخلاصي مواضيع فكريتي ، انا
اكتشف التافه لانه يهي به الى العظة ...

انا يهمني مما لا يعينك ولا يشغلك من حياتك ،
وحياة جارتك ، ان اجعله يعينك ويشغلك ، واجعل
منه نوراً جديداً تعتقد انك كنت على خطأ اذ كنت
تستهتر به ، وانك كنت في جهل اذ كنت جاهلاً
مصدره ، وانك كنت قاسياً مجرمًا لأنك لم تعن به ،
ولم تعطه حقه من التأمل ، والتأمل !! ...

ان اتفه حوادث الحياة قد يكون له اثره في اكثر
خطوات التفوق ... او الاندحار .

ان اصغر ادوار العمر قد يكون له اثره في توجيه
العقل والوعي والعاطفة الى ناحية تؤمن بالنجاح ...
او الاخفاق ...

لا تحتقر صغيرة ، ولا كبيرة مما تعرضه
عليك الحياة ...

كن كالطبيعة لا تنكر امومتها الكل شيء مهما
احتقر او عظم ...

خير للانسان ان يكون معترفاً ، من ان يكون
جاحداً ، لأن استيعابه للكلية محال ، واتصاله بالكلية
ضروري ، فليس ثمة من شيء في الحياة لا يعنيه ، ولكن
كذلك ليس ثمة من شيء يعنيه ...

ليأخذ كل شيء على انه واقع ، ولكن ليمد في
سبيل الاصلاح ما استطاع ، حتى الفهم على الأقل ...
او الاستعداد للفهم !!

اننا ما زلنا في حاجة الى مصاقل جديدة لأرواحنا

علنا نجعل منها اسفنجة تمتص كل شي ...

اسفنجة من نوع يتقبل امتصاص حتى الحجارة

والارواح ...

متى وفقنا ان نصل الى هذه الارواح ، نستطيع

ان نقر اننا تفوقنا بانسانيتنا عما عداها ...

ليكن حديثك هذا الذي بعثته اليّ اليوم ذخري

الى ايام ...

انا رغم اسبابي لأول مرة في الحديث اليك ،

اعترف انني مدين لك باكتشاف هذه المكنونات التي

لولاك لم استطع اكتشافها ، ولا اعلانها ولو بيني وبين

نفسي ، او بيني وبينك على الاقل ...

ان اكثر الناس مدينون باكتشاف انفسهم ، او ما

في انفسهم لسواهم ، فلا تكن من هؤلاء ...

بل انا من هؤلاء ، مادمت لم اكن قادراً ان اكتب

شيئاً عن نفسي لولا تطفلك على روحي ، وارغامها على

الكتابة من أجلك ...

لهذا أصبحت حائراً بين أن أحبك لأنك هديتني
إلى نفسي ، وبين أن أبغضك لأنك أفرغت ما من
نفسي ... ، مما كان يشغلني ولا يشغل الناس .

اظن ان الصلة بيننا في الكتب قد انقطعت بعد
هذا اليوم...

لقد انتهيت من استدراجي بحديث الطفولة الى
مرحلة جديدة هي خطواتي نحو الذي اطمح اليه...
انك الآن تريد ان تلعب بالنار...

انك تحاول ان تمس ناحية القلب من حياتي ،
اياك والاقدام على مس ألي...

ان المرحلة التي تلو الطفولة هي الميلاد الحقيقي
للألم!!!... لأنها التأمل في تمخض صراع الآمال...
انني اضن عليك كما قلت لك ، ان افرغ بين يديك

المعين الذي اعيش بنيره .

ان الذين يتألمون هم الذين يعرفون ما يريدون لأنهم
يراقبون تطور شعورهم بالنسبة لمحيطهم . . .

اما الذين لا يدخل اعماقهم الألم فهم الذين يجهلون
الغاية من حياتهم . . .

لهذا هم يعبثون لأنهم عائشون ، لا لأنهم ذووا
غاية من الحياة يستهدفونها بكل اعمالهم .

تريد ان تعرف شعوري في اول خلوة بنفسي بعد
ان دخلت ميدان العمل الادبي بشعوري وحسي .

انا لا استطيع ان اقول حتى الآن انني تفرغت
للأدب كما يتطلب الأدب .

انني ما ازال اخطو خطوات بطيئة نحو ما اريد
ولكنني اعتقد جيداً ان خطواتي هذه توحني الي
الاطمئنان .

انا اعتقد انني لا اعيش للأدب لأنني اعيش

للفتاة من الأدب .

ان الأدباء يسبحون في عالم علوي، يتخيلون المجد
ويرسمون الخطط الرمزية له ، هؤلاء الادباء ، مجدهم
لا يمكن ان يحقق ، ان عالمهم غير ملموس ولا محسوس
الا من انفسهم ، ان حياتهم اشبه بخيوط العنكبوت ، ان
آمالهم تبني تهدم ، اما انا فلا اريد لي هذا المصير . انهم
يميشون لانفسهم ليقال عنهم ادباء . ليرمز اليهم في
كل مكان ومناسبة ، ومن هم هؤلاء الذين يتحدثون عن
الأدباء؟ بل من هم هؤلاء الذين يعنون بالأدباء ، انهم جماعة
اتخذوا الادب كما يتخذ الشاب الفرس كأس الراح صديقة
وخدينة له ، انهم يقرأون ليسكروا ، انني لا اريد ان
تكون حياتي كأس خمر في ايدي الناس ، انني اريد ان
اكون نافوساً يدق في كل مناسبة لادل على مرض
واهدي الى علاج ، انني لا اريد ان يعرفني في كل بلد
قبضة من الناس ، يترنون للمجالس بالادب .

انني اريد ان اكون للمجتمعة الانسانية التي
ترى في الاديب طبيباً يعالج امراضها الاجتماعية ، انني
ابغض السياسة والسياسيين لأن الادب لا يدخل ميدانهم
الا عن طريق الكتابة والانشاء ، انني لا اريد ان اكون
سياسياً من هذا النوع ، انني اريد ان اكون اديباً
اجتماعياً تنهار امام قلمه اساليب السياسة والسياسيين
وتبنى بقلمه صروح الحرية لكل فرد .

اين انا من الادب يا صاح ؟
إنني ابن المحيط الذي يقدس العادات والتقاليد
ويحترم الماضي بما فيه من عجز وبجر ، ويخشى الانتقاد
ويبغض المنتقدين . . .

لست اعيب على المحيط هذا . . .
الذي يريد الاصلاح لا يعيب بل يظهر العيوب
ويداويها باستمرار . . .

انا اعتقد جازماً انني سأموت دون هذه الغاية . .

ربما فارقتك وأنا ما ازال احلم ان ينعتني واحد
بلقب اديب ، ان هذا لا يمنني من الاستمرار في الخطة
التي انتهجتها للنفسى ، انني ما زلت اعاني الكثير من سوء
حال البيت ، اتراني افرغ من بحث هذه الامراض
البيئية ، او انني افرغ من تهيئة العلاجات لهذه الامراض
والناس ايفرغون لسماع هذا البحث والتفكير بهذه
العلاجات ، ام انني والناس سننتهي الى مصير مؤلم
لما نفكر به وما نقرأه ؟ انني اشعر جيداً ان الاهمال مصير
مؤلم لكل ما نفكر به وما نكتبه وما نذيعه على الناس ،
اتعلم من اين استنتجت هذا المصير ، انني اعتقد ضرورة
اشراك السلطة الحكومية مع السلطة الروحية لتقيح
المجتمع بآرة الاصلاح ، انني اشك كثيراً ان نستطيع
نمحو الابداء احتلال مركز حكومي والاصلاح عن
طريق هذا المركز .

كما اشك ايضاً امكان حمل الحكم واهل السلطات

على ملك القوى الروحية السامية التي يحملها الادباء ، لهذا
ان لم تقم شركة تعاونية بين الفكر الحر والسلطة المتحررة لم
تتمكن من تأسيس صيدلية تهني العلاجات الشافية لأمراس
هذا المجتمع ، رأيت كيف انني لا استطيع ان اكون
اديباً على النحو الذي اريده .

انني اصطدم في كل ما اكتبه ، وما اعزم على
نشره بحجرات كبيرة الحجم صلبة النوع ، وآسف
كثيراً انها رؤوساً لرجال لا ضحوراً ملقاة في الفلاة ،
لقد فرض في اصحاب هذه الرؤوس التمرد والفوضوية
ولم يقرأوا مرة واحدة بالغاية التي انشدها مما اكتب ،
انهم حددوا الروحي حدوداً ان تخطيتها اهلوني ، وان
حبست روحي بين جدرانها لم اتلذذ ولم اطمئن لوصول
الغاية مما عزمتم ان اوقف حياتي من اجله .

ان مجتمعتنا هذا حاله ..

وان ادباءنا كشبكة الصياد تلقى لاجتذاب الشهرة

بالتفوق، لا لاجتذاب الغذاء والنفع العام بالتضحية.
 اننا اعداء بعضنا لانا لا نسير الى هدف واحد.
 اننا نحطم بعضنا خوفاً من ان نتزاحم باكثرية
 المريدين وأن يكون لغيرنا اكثر مما لنا من الشهرة.
 ان اجسادنا تشغلنا اكثر من عقولنا!
 ان اقدامنا تهمننا اكثر من غاية خطواتنا...
 ان حالاً كهذه الحال يصعب على مثلي احتمالها
 وان يسمي نفسه بالرغم عنها اديباً...
 ان الذي يريد ان يكون اديباً يجب ان يتسلح
 للانتاج الادبي باكثر كمية من الألم...
 ان ينبوع الألم كل نفس مريضة...
 ارأيت كيف ان الذين يمتصمون بالابرار العاجية
 اناس لا يستطيعون ان يتكلموا باسم الشعب.
 انني استطيع ان اندمج بالشعب اندماج الفرد
 بالفرد. انني استطيع ان افرض على اي طبقة شعوراً

باخائي لها، وميوغي فيها، وانني احب ما استطيعه ، ولكن
اتستطيع انت ان تمنع عني حراب العيون وتحول بيني
وبين احتقار من ينظرون بأبصارهم لا ببصائرهم .

إنني اريد ان اكون مسيحاً جديداً يصلب نفسه
بالمخطاطه لا بسموه ولكن اتستطيع ان توجد لي حواريين
يحملون المشعل للهدف الذي سمعت اليه ؟

ارأيت كم نحن نعاني في سبيل ما نريد !

ان كل خطوة الى الوراء تخلف في اعماقنا الماء ...
انك تريدني ان اكون طفلاً رضيعاً امتص الغذاء
من ثدي الطبيعة ...

انا ارد لك رغبتك هذه بالرفض ، ان الطبيعة
بكاملها مهما سمت بجمالها لا تستطيع ان توحى إلي
صورة رمزية شعرية كالتي يوحىها إلي منظر فقير بائس
يستجدي الناس ويطوي في تعرجات وجهه وتموجات
لحمه وقذارة شكله سهم الجاني الذي سدده اليه ، فجعل منه

هذه البصقة على رصيف الحياة .

انني استطيع ان اسكر نفراً من الناس بحديث
مع القمر ، ولكنني استطيع ان اسكر كل الناس بحديث
مع هذا البائس المسكين .

انني اقصد اذ اتحدث مع هذا البائس اصلاحه
أو هداية ذوي السلطان الى ضرورة اصلاحه وإن أبسط
طريقة لمعالجته أن اكون كالرسام بالالفاظ وكالأديب
بالأسلوب وكالسياسي في النضال ، وكالحاكم في المنطق ،
أرأيت اننا لو استطعنا ان نكون مثل هذا الادب لاختصرنا
كثيراً من الخطوات واستطعنا تكوين انفسنا تكويناً متيناً
وجريئاً ؟ ! اني لهذا اريد ان اكون ولهذا اريد ان اوقف
جهادي الادبي ، ولكنني لا اجد ميدياً للعمل واظهار
الفكرة ، انت تسألني علام لا املاً صفحات الجرائد
بعقالاتي وكل اصحابها اصدقاء واحباء إلي ، اتظن الصحافة
الاشركة يمكن ان تعيش وتتغذى الاعلى موائد الكراهية

لمثل هذا الأسلوب ، ان الصحفي الذي انشأ جريدته ليخسر
ماله ويربح فكرته لم تهبطه بلادنا بعد ، فإني تريدني ان اجد
متسعاً لما يرضي الحقيقة ويزعج الكفار بها ؟ وتحاول ان
ان تطلب مني في رسالتك السابقة ان ابدأ عملي الادبي
بالقاء محاضرات على النحو الذي اريده فابشر لفكرتي من
على المنبر ...

هذا كلام جدير ان يبقى كلاماً فقد جربت في
محاضرتين :

الاولى ضمت شعباً وسلطة ، والثانية ضمت شعباً
بلاسلطة ، انني لا اتكلم لأعرض على الثورة فالجأ الى
تحريك الضغائن واثارة الآلام انما اتكلم لأسمع مسؤولاً
واحرك عاطفة حاكم وادفع الى العمل نشاط مقتدر فان
انا تكلمت في الشعب اتهمت بالتحريض على العصيان وان
انا اردت اسماع ذوي السلطان جوبهت بالمقاطعة
والخزلان .

ان حال الأديب مؤسفة في بلادنا ...
لقد أصبحت اعتقد ان الذي يوقف نفسه للجهاد
الأديبي ليس أكثر رجحاً من الذي ينذر نفسه للدير .
ان خلواتي بنفسي تحدثني ان اعمل ، لذا لن يوقفني
تيار ، سأستمر استمرار المنتحر على تجرع السم لأنه خير
لي ان اموت دون ما ارغب من ان اموت وانا اسعى
الى ما لا ارغب .

انت تسألني كيف قررت ان ابشر لفكرتي !!
ان هذا السؤال اشغاني كثيراً فأنا لم افكر قط في
ان اجعل لفكرتي برنامجاً وخطواتي سائماً ولكنني الآن
أصبحت افكر بذلك متأثراً بسؤالك .

حقيقة : كيف يمكنني ان اباغ غايتي من
الادب ؟ انني سأجابه دون شك معضلات كثيرة .
انني سأندحر امام كثير من هذه المعضلات
اتراني املك قوة الايمان التي تثبت خطاي وتقوي

عزيمتي على الصبر ، انني اعتقد جازماً ان انفرادي في
هذا الميدان سوف يجعلني شيئاً مهملاً ، او انساناً غريباً ،
بل مالي لا اقول صراحة : انني ربما اهملت واهمل ادبي
وحوربت وحوربت كسبتي وطوردت وطوردت
افكاري ...

اترى لو كثر رفقاؤني في هذا الميدان ، وشركائي في
هذا الجهاد ، الا نستطيع ان نتوزع المسؤولية وان نصل
الهدف دون ان نتعرض لأذى او اضطهاد .

ان اعداءنا ضعفاء لأنهم جهلاء ، كل الذين يعملون
لمحاربة العقل خامسون ، ان العلم كالشمس والحق كالطبيعة
لا يمكنهما انسان ولكن يخشاها كثيرون .

الذي يؤمن بنفسه يتغلب على خصمه .
الذي يسير غير هياب يفسح له الطريق الخائفون
الوجلون ...

اعتقد انني الآن عرفت الاسس التي يجب ان

اسير عليها . . .

سأناضل ، سأجمع لنفسي اكبر عدد من الصحابة!
ان حملة المبادئ والمبشرين للاصلاح اعتمدوا على
نفر واقتادوهم وبشروا واياهم لما جاءوا به .

فلم لا نعمل نحن الأدباء على جمع الصحابة ويكون
لنا نفر من المؤمنين عسى ان تتسع الدعوة ويكثر
الانصار فنبلغ ما نريد؟!

انت تحدثني فيما كتبته إليّ ان الاديب الوجداني
يجد تقديره بعد الموت ، هذا خلق من اخلاق الشرق
وعادة من عاداته . انه صلب المسيح وشهر به على الصليب
ثم قدسه والله بعد ان مات .

انني لورفعت الى السماء « بعد ان مت » للتكفير عن
خطيئة الكفر ان بفكرتي لما اغناني ذلك عن ان اجد
فكرتي تحتل المكانة التي اريدها لها وان ارى مبدأي يناضل
من اجله من آمنوا به .

انت تقول « ان الاديب الذي لا تدفعه الانانية
الى النشاط لا يستطيع ان يؤمن بفكرته »
انا اخالفك في هذا كل المخالفة .

ان الايمان بالشخصية ليس شيئاً امام الايمان بالفكرة
والهدف ، لأنه لا يمكن ان يوجد الايمان بضرورة
بلوغ الهدف المعين قبل ان توجد الشخصية ، ولكن الويل
لمن لا يدرك الفرق بين المؤمن بشخصيته والراغب لها
كل شيء ، وبين المؤمن بفكرته كمثل اعلى وبشخصه
كآلة لتحقيق هذا المثل الاعلى الذي يعده نوراً للجميع !!...
انني اتألم اذ اراني بعيداً عن اهدافي ...

ان المي هذا لا يوحى الي القنوط واليأس ...
الذين يخيفهم اخفاقهم لا يصلون الى ما يحبون ..
ارأيت انني اقلبي المأفريداً !!... .

انا اعرف جيداً ان غربتي في محيطي ، وتأخري
دون ما بلغه سواي من رفعة وتقدير ، هما بسبب هذه

العناية بافكارى ، وهذا السعي وراء تحقيقها ...
 ان اصحاب المبادئ وعبد المثل العليا وخدم
 المتألمون والمتأخرون عن صفوف الزاحفين نحو السمو ...
 لن اعبأ بنصائح ايا كان ...
 ان الذى اعانيه ارضائى ... فانا متحمل اوزاره
 وآلامه ... بل انا ناعم باوزاره وآلامه ...
 لا يهمنى ان اصل ...
 ولا يهمنى ان يعرف احد انى سميت ...
 الذى يهمنى انى راض عن خطواتى ...
 وانى حاولت الوصول الى ما يرضى ضميرى وما
 يوحى الى الاطمئنان ...
 لهذا ارى انك بعد اليوم لن تحدثنى بهذا الذى
 حدثتنى به اليوم ...
 لن تطالب الى ان احمل الطبل والزمير لأدعو
 الناس الى ...

بل ستتركتني وحدي اغمد الخناجر في جسدي
لا أري الناس كيف تنفجر الدماء من اجساد المتألمين...
لماذا لا نكون مثل الظلام... او مثل النور...
نتنظر كلما اخفقنا ان نبعث من جديد؟!...
الذي يحلم هكذا بالنصر يبلغ النصر...
بل ينقاد اليه النصر صاغراً...
احفظ هذا عني... وذكّرني به...
لا يهمني ان تراني مخففاً فتشمت...
الذي يهمني ان تراني متبدلاً فتسخر!!...
السخرية اشد وقعاً من الشماتة!!...
الشماتة مجلبة للاحتقار... لأنها دليل الضعف...
ولكن السخرية مجلبة للألم لأنها دليل القوة...
ذكّرني اذا تبدلت... بل احتقرني اذا تغيرت...
انك مسؤول عن ذلك ما دمت ساهمت في معرفة
اهدافي، ومراقبة خطواتي نحو ما استهدفت...

ارى انني اصبحت اتشوق اليك .
 كأنني لم اعد ارضى ان اظل اكتب من اجلك
 دون ان اراك ...

انك اقدر عيون على الرؤية ...
 انا لا اقصد انك ترى دون ان تفهم ...
 فأنت تفهم ما تعرضه عليك الألوان ...
 ان الصور المجردة من الزخرفة صعب فهمها ...
 انني اصبحت اشعر انك تحسن دلاتي الى المواضيع
 التي يجدر البحث عنها في حياتي ...
 انت لا تهديني الى جديد .. بل تذكرني بمنسيات

مثل هذا الرفيق يستحق ان يكون صديقاً ...

انا لا يهمني ان يكون لك غرض في ذلك ...

الذي يهمني انك احسنت اسلوب انارتي

وتجيبني بك ...

بل انك اضطررتني للشعور بضرورة ملازمتك

لا تمكن من بحث نفسي ...

انت اذ حدثتني عن نفسي كأديب استطعت ان

تهديني الى برنامج لخطواتي نحو ما استهدف ...

قد لا تكون اردت افادتي ، ولكنك اوصلتني اليها .

هذا ايضاً عمل مشكور ...

ليس كل الخير مقصوداً للخير ...

كثيرة هي الاعمال التي يقوم بها الانسان لجلب

الغنم الى نفسه فيحسن بلائمه الى آخرين ، ربما كان

هكذا ميلاد كل خير ؟ !

كذلك كان شأنك مغني في كل ما حدثتني به

وما دفعتني الى كتابته من اجلك ...
انني لم ابخل في كل ما كتبه اليك بما تحب
ان تراه في ...

لقد ظهرت لك عارياً ، وتركت لك الخيار في
ان تجد ما تستطيع ان تجده من جمال وقبح ...
فانا اذ أتعري من الزخارف المادية ، لا استطيع
ان أتعري من الكساء الروحي ...
ان الحقيقة دائماً تكسوني ...

ولكنني دائماً معروض للناس دون ان آبه بأرائهم
في ، فللناس ان يجدوني كأس خمر ، وللناس ان يجدوني
صيدلية فيها علاجات ما في نفوسهم من امراض ..
انك تحاول ان تصورني ، وان تجعل ادوات
تصويرك ثلاث :

١ — علاقتي بنفسي ...

٢ — علاقتي بالناس ...

٣ — علاقتي بالفكر ...

ان اي رسام فنان اذا اراد أن يرسم من وما شاء ،
لا يستطيع ان يتخذ لفنه ادوات غير هذه !!! .
ولكن اتستطيع ان ترسمني بهذه الادوات
كما انا ؟! ...

ان الذين رسموني حتى الآن اوقفوني مدداً متفاوتة
الزمن لأعرف « من انا » ؟! ...

انني ما ازال انتظر الرسام الذي يستطيع ان
يضعني امام معرفتي « كما انا » ؟! ...
ان الألوان لا تهمني ابداً ..

الرسامون يخفون بألوانهم كثيراً من طبيعة
البساطة المغرية .

لهذا افضل ان اهتم بالمعرفة من ان امدح بالجهل ...
ان مبدأي هذا هو الذي جعل بيني وبين الناس
حدوداً ...

ان مشهدي نائماً في مقهى يكثر فيه الجمالون
والسرقة والحشاشون لا يرضيك؟! ...

انت تحدثني ان هؤلاء القرناء الذين اصطفاهم من
عامة الشعب ، هم السبب في عزلي عن المحيط الذي
خلقت له ...

انا لم اخلق لمحيط ..

انا لست لأحد ...

انا لست حتى لنفسي التي بها اعيش ...

انا للفكرة التي اخرج بها من طراز حياتي ...

انا للفكر الذي يستطيع ان يجردني عن حياتي

وجسدي!! ...

انت اذ تميب علي ان اجالس رعاك الناس كأنتك

تقول انك لا تفهم الرعاع الا هكذا :

ثياب قدرة تطوي نفوساً قدرة ...

اخلاق منحطة تدفع نفوساً منحطة ...

عادات مبتذلة تظهر نفوساً متبذلة ...

مناظر مقرفة تنطوي فيها نفوس مقرفة ...

يحق لك ان تفهم الرعاع هكذا ...

والكنى اذا فهمتهم على هذا النحو كيف استطيع

ان اكون المسيح الجديد الذي حدثك عنه في

رسالتي السابقة!!! ...

انا مدعوون لأن نقدم قرباناً لكل داء لنري

الناس كيف يموت الذين يعانون هذا الداء ، واي واجب

علينا تجاه هؤلاء المرضى ...

نحن منذ قابيل وهايل نتحدث عن الجناية ...

نحن منذ حواء نتحدث عن الشهوة ...

نحن منذ آدم نتحدث عن العصيان ...

نحن منذ ابليس نتحدث عن الكبرياء ...

ولكن من منا قدم مثلاً حياً لمنع الجناية ، وايقاف

تيار الشهوة ، والحيلولة دون العصيان ، ومخاطبة عروش

الكبرياء ١٩ ...

اننا نتحدث شعراً ، ونكتب خيالاً ، ونؤرخ
اساطير ، ونطلب من الجهل ان يتعظ !!! ...

لم يخرج منا حتى اليوم سكير عربي يدعلاً الدنيا
صراخاً ، ليفتح الآذان ، ويفجر الضمائر ، فيرشد الى
هذه الجيوش التي ترحف الى الحانات لتقتل الداء بالداء
لا لتشبع شهوة بشهوة ...

الذي يتخيل الألم ليس الا شاعراً ...
الذي يعاني الألم هو الذي يهدي الى العلاج ، ان
لم يستطع حمله !!! ...

انت تدعوني الى ترك هذا المحيط الذي انا فيه وتقف
الى جانب المجتمع في العتب علي ...
انني لولا اخلاصك لما شككت انك عدو لدود
للانسانية. بل عدو يريد ان ينثني عن الينبوع الذي اعب
منه خمرتي !!! ...

ان ساعة افضيها الى جانب مومس تنقاني الى دنيا
الرديلة ، وتريني آفاقاً غريبة من جرائم البشر !!! ...
ان هؤلاء الذين تحتقرهم لانهم يعاشرون المومسات
لا تحتقر فيهم انحطاطهم الى هذا المستوى ، بل نخافهم ...
نخاف ان تصل مسامعهم الى جناياتنا ، الى ما نقره
باسم السلطة ، والجاه ، والثراء ... والجمال ...
ان الفضيحة هي التي مهدت السبل لاحتقار اصداق
ضحايانا ..

ترى لولا أنني سمعت كثيراً من المومسات عن
الشباك التي اوصلتهن الى هذه البؤرة (المحتقرة) اكنت
استطيع ان اقول هذا الذي ا قوله الان ؟
لم لم يقله احد قبلي ؟ !

لان واحدا لم يتبرع بسمعته ، ولم يتبرع بقلبه .
الذين يقذفون بسمعتهم ، ويسخرون بعواطفهم
الشهوانية ليستخرجوا مثل هذه الحقائق قليلون جدا .

ونحن في حاجة اليهم ، لنعرف من اين تحمل الينا
جراثيم الرذيلة .

اتعلم . . . ان الذي نعت المومس بالساقطة هو الذي
اكتشف حالها وما سببها قبلي . . .

انه اراد ان يصور جرائم عبّاد الجسد والكفار
بالروح بكلمة واحدة ، فكانت عنده (الساقطة)

ان الساقطات بحبائلكم لا يستحقن الاحتقار . . .

لانهن بسبب جثثكم سقطن . . .

انكم مهما رفعتن عنهن لا تستطيعون السمو عن

مستواهن . . .

اذ هل من شك في ان كلاً من القاتل والمقتول . . .

ميت . . . ؟ !

انت تقول ان الفقراء ، من حمالين ، وحشاشين ،

وسرقة يفقدوني المحيط الذي اجدر به ؟ ! . . .

خير لي ان يفقدني من اجدر به ، من ان يفقدني

من يجب ان اكون له ...

ان كل ثري يستطيع ان يكون في المستوى
الذي يريده ...

ولكن المستوى الذي يضم الفقراء ، والبؤساء ،
ومرضى الاهمال ، يستطيع ان يلبفه الانسان كلما اراد ،
وبالسهولة التي يريدها ؟ ! ...

ان انانيتك تستطيع ان ترفعك الى اعلى المراتب ...
والوجهات ...

ولكنها تعجز ان تخفضك الى احط المراتب .
قد تدفعك انانيتك لأن تجالس البؤساء ولكن لو سألت
انانيتك عن السبب في اندفاعك الى هذا على غير عادتك
لأيت انك لا تندفع وراء شهوة الاصلاح ، والمعرفة ،
بل وراء شهوة الشعور بالسمو عن بعض المخاليق !! ...

ماذا تقول في انسان روسي قذف بنفسه وثرورة
فكره وعقله الى آخر قطب من اقطاب الدنيا المتجمدة

لا اكتشاف بقعة ، ودراسة حال من احوال الدنيا ؟! ...
أرى لو مات هذا الرجل في تلك الأرض ، ألا
يستحق ان يقام له تمثال ؟! ...

ان تلك الارض المجدة من الحياة ليست اكثر
شأنًا من هذه النفوس المجدة من الشعور بالحياة ؟!
لماذا لا نضحى بشخصياتنا واناياتنا لنكتشف
النفوس كما نضحى بكل شيء لنكتشف البقاع ؟!
ان ثروة كبيرة تنتظرنا هنالك ... حيث اعتدنا
ان نضحى للربح ...

ان نفساً واحدة تكتشفها تهيئها للحياة يعدل
اصلاحها ربح مقاطعة بأسرها تهيئها للاستثمار ...
ان الحياة نفسها لولا النفوس التي عملت على
احيائها لما تمت ..

أرأيت الى اي شيء استهدف في سياحتي الى
هذه النفوس ؟! ...

انني اعيش مع المرضى كواحد منهم !
يراني من يراني بينهم فيحسبني مريضاً مثلهم، ولكن هيهات
ان يعرف احد الثمر الذي اجنيه من اشجارهم المريضة...
لا يمسك عالم نباتي بتفاحة فاسدة ويلقيها على الارض
قبل ان يدرس الجراثيم والحشرات التي عملت على افسادها...
شأننا نحن الادباء في هذه الظلمة شأن هذا العالم النباتي
مع هذه التفاحة الفاسدة...

اننا رأينا النفوس الفاسدة ملقاة في الحانات ،
والمواخير ، والمقاهي وعروضات الارض المهملة ، فلم نشأ
ان نمر بها خوفاً من ان يتسع داؤها ، ويعم فسادها
كل النفوس .

ليس لدينا نحن الادباء مستشفيات لمثل هؤلاء
المرضى الانفوسنا وعواطفنا وشعورنا...
لهذا تطوعنا ان نكون قرايين على مذبح الانقاذ ،
فسرنا الى تلك الظلمات لندرس طبائع تلك النفوس...

الذي لا يستطيع ان يكون كما يريد لا يستطيع
ان يصل الى ما يريد ...

لقد كنا كما نريد ... ونحن حاصلون على ما نريد ...
فنحن اذ نشعر بقذارة اجسادنا، هكذا ايضاً نشعر
بنقاوة ضمائرنا وارواحنا ...

ان حياتنا كما تقول تمنعنا عن ان نتبوأ ما نستحقه
من التقدير ...

لهؤلاء الذين يحتقروننا، ويقصوننا عن مجتمعاتهم
نحن نعمل ...

يكفي اننا نجني من كل جولتنا الاستكشافية
فكرة تستطيع ان تدخل نفوسهم ...

بعد ان تحتل فكرتنا مكاناً من اعماقهم لا يهمننا ان
ترجع اليها ملطخة باحتقارهم، او مخضبة بتقديرهم وعماجهم ...
الطبيب عندما يضع الابرّة في شريان المريض لا
يتوقع له الا الشفاء ولكن لا يهمله ان تفيض روح المريض

بعد حقنه ...

انه قام بواجبه ... وللطبيعة ان تقوم بواجبها ...
ونحن ... نحن ايضاً ايها الصديق ، نقوم بواجبنا ...
وللطبيعة ان تقوم بواجبها ...
انك تحماني على الاعتراف بما اشعر به في مجالسة
هؤلاء ...

لن اقول لك ما قاله المسيح للحواريين يوم لاموه
لمجالسته العشارين ، واكلمهم بل سأقول لك ما قاله
الاديب التركي رفيق رضا لمن لاموه :
اذا لم احترق انا ، ولم تحترق انت ، ولم يحترق هو ،
فمن اين نخرج لهذه الظلمات نوراً ؟ ! ...
قد لا يرضيك ان اقول لك هذا ، فانت تحلم في ان
احدثك عن المي الذي يولد في مثل هذا المحيط ...
والمي هذا كنز لا اضمن بسواه ... وليس اكرم
مني بخلفاته ...

كفَّ عن سؤالك، لا تحدث اليك في رسالتي القادمة عن
علاقتي بالناس ... بعد ان حدثتك اليوم عن علاقتي
بنفسي ... فالى اللقاء ...

حدثتك في رسالتي السابقة عن علاقتي بنفسي اما
اليوم فأحدثك عن علاقتي بالناس ...

لن اردد لك الآية الكريمة التي تقول :
قل اعوذ برب الناس ...

فان الناس هنا في مرآتي غيرهم اولئك الذين يستعاذ
بالله منهم .

أنا اعلم انني لن ارضي الناس فيما سأصارعهم به ...
فالناس يتقبلون منك ان تشتمهم، ولكنهم لا يتقبلون
منك ان تعلن هذه الشتيمة ...

انهم ينسون كل اساءة لفظية لاتصل بمسامع سواهم

ولكنهم لا يغفرونها اذ احاط بها علم الناس؟! ...
انا نعيش لسوانا... لهذا نحرص على ان تكون
مقاييسنا ، وموازيننا في المسامع والعيون والالسنه ،
لا في الأرواح والضمائر والوجدان ...
انت تعلم اني لا اكتب للناس ... بل اكتب
لنفسي ...

الذي نفسه الناس ... لا يخشي ان يتحدث اليها
بما يريد ...

لهذا ستكون هذه الرسالة فضيحة بالنسبة لمن
يتسترون بأكفهم عن عيون الرقباء ...
قلت لك .. واقول ... لأنني ابدأ لا انسى
ما اقول ...

انا الوحيد الذي حياته سلسلة من حلقات لا يستطيع
ان يهمل واحدة قبل ان تتجزأ السلسلة وتفقد روعتها ...
ان كل شيء في حياتي له اثر في تكويني ...

حتى ما اقلوه ... بل الذى اقلوه هو كل حياتى ... لا أنى
اعيش لا تكلم ... لهذا انا حرص على ان تظل هذه السلسلة
مترابطة الحلقات ... يمر عليها الزمن فتدخر منه ،
تزيدها الأيام ، ولا يصدؤها القدم ! ...

قلت لك :

انى اعيش في عالم علوي لا اشعر فيه بجسدي ،
بل بروحي التي تحدثني مسرفة واصغي اليها مسرفاً . حتى
يخالي من يشاهدني غارقاً في التأمل : مجنوناً ذاهلاً
عن حقائق الوجود !! ...

هذا ما قلته لك في رسالتي الاولى ، عد اليه

تذكره ...

لو انني طويت قلبي هنا ، لكفيتك ما تريد معرفته
عن علاقتي بالناس . .

ولكننى اذ قلت لك في رسالتي الرابعة :

« ... وهذا الانفصال بين الظاهر والباطن

في تأثيرها لتكوين النفس لا يمنع ان يكون لخالهما سبباً
وجب علي ان احدثك عن هذا السبب . . .

ان الاديب يعيش كما قلت لك في شخصين واحد
لنفسه . . . وآخر للمجتمع . . . »

الشخصية التي يوقفها لنفسه هي العمل الذي يخرج
منه مصهوراً في انتاج ، فيعيش في احلام دنياه الخالدة
والشخصية التي يوقفها للمجتمع هي التي يتوزعها
الناس بين انتاجه وجسده بل التي يتوزعها هو بين
الناس وجسده .

انت تحاول في احدى رسائلك ان تقنعني بان
الانسان اجتماعي بالفطرة ، لا يستطيع ان يفصل عن
الناس . . . فهو مضطر لاحتمال اساليب شتى من طراز
تفكيرهم وحياتهم .

ان انساناً يريد ان يعيش للحياة وحدها لا صفة له الا
الصفات التي ذكرتها . . .

اما الانسان الذي عرف غاية الحياة منه فهو غيره
الذي عنيته ...

انني منذ ان قررت تبني الفكر ، وامتهان الأدب ،
قررت ان اعيش كما اريد لا كما يريد المحيط ...
انا نخطئ كثيراً إذ نظن العادات ، والتقاليد ،
والانظمة الاجتماعية ، وبرامج المحيط ، دستوراً لا يقبل
التبديل !!! ...

احقر الناس قد تهيأ له فرصة معاكسة اتجاه اى
نظام تقليدي او اجتماعي ...

ان لكل شيء نظام ... الا الروح ... متي عرفتم
من اين تؤتى ارواحكم الحياة وكيف يتكون في اعماقكم
الشعور ، وكيف تخرج من حاكم الحكمة ، عرفتم انكم
خاضعون لنظام لا يتبدل ...

ان ينايع غذاء الروح لا يمكن ان تعد ...
وانظمة الفكر ، وانظمة الحياة هكذا ايضا

الذي يعيش ليأكل له نظام ...
والذي يأكل ليعيش لا نظام له ...
الذي يتكلم ليحيا له نظام ...
والذي يحيا ليتكلم لا نظام له ...
الانسان الذي يسرق سواء ... يعيش في الحدود
والنظام ...

اما الانسان الذي يغذي سواء من احشائه فلا
حدود ، ولا نظام له ...
الانسان الاجتماعي ... ليس ذلك الذي حدوده
العائلة والاخلاص

الانسان الاجتماعي ... ، هو الذي حدوده الارض
والسعادة الشاملة !! ...

الناس فواينس ... الى هدف ...
ابعدنا عن الناس اقربنا اليهم ...
من اجل الناس نتكلم ونحيا ...

فلا يجب ان يشوهوا حريتنا بفرض انظمتهم
وحدودهم علينا ...

نحن بينهم غرباء ...

نراهم ... نشعر بوجودهم ... ولكن لا يهتمنا ان

نراهم ... ولا ان نشعر بوجودهم ...

كثيراً ما نمر بحشد من الناس فما نقف ...

نحن لا تستوقفنا كتل لحمية ... لها ارواح ..

نحن تستوقفنا كتل روحية ... لها اجساد ...

هكذا الناس ... هكذا الناس ...

ما يشغل الناس لا يشغلنا ...

انا اذ نشغل الناس ، لا نعبأ بانشغالهم !! ...

ماذا يهتمنا ان يشعروا بوجودنا ... مادمننا لانشعر

بوجودهم ...

انا احب الناس بهم ... اذ نكون مبغضين لهم !

لسنا بعيدين عن الالمهم ... بل هم آلامنا .

لسنا شعراء ننظم لهم المسايات ... في قريض
نحن مسايات ... ينظمون منا الحكمة ... في
استرسال واصفاء ...

لسنا خمر نذهب عنهم السأم .. في تفرغ !!
نحن اقداح نحمل لهم السأم ... في انشغال !!
حياتهم لا تشغلنا .. المهم يقض مضاجعنا مغرياتهم
لا تشهينا ... معالجتهم تضيقنا ...

نحن لهم ... من اجلهم ... دون ان نعترف
بوجودهم ...

لا يهمنا ان يعترفوا بوجودنا ... ولكنهم مضطرون
لهذا ...

الذي يستهدف النور ... لا يهمه ان يعرفه
النور ... بل كل ما يشغله اكتشافه مصادر الانوار ...
تقول ان الانسان يعيش بغرائزه ، باخلاصه ،
بعلاقاته مع الناس ؟ ... !

هذا انسان عادي ...

الانسان القوى هو الذي يعان استقلاله عن

الناس !!! ...

اقوى الناس من لا يعترف بالاخلاص ، والشرف

والمرورة ، والحب ، والاحسان ...

ان مصدر القوة في هذا الترفع عن الاضداد ...

الذي لا يعرف الضعف ... لا يعرف القوة .

الذي لا يعرف الذل ... لا يعرف الفخر هذا هو

الانسان ...

ان دولاب الحياة يسير لنفسه ...

كل ما يخال به الانسان عجباً من خير او شر هو

من صنعه ...

لم يصنع الانسان حتى الآن عاطفة او آلة الا لاتقاء

شر اخيه الانسان .

لو اننا نعيش لبعضنا ... نفكر لبعضنا ...

اذن لما شعرنا بحاجتنا الى هذه المصطلحات التي
نخفي بها استثمارنا بعضنا ...

غالب ومغلوب كل من في الحياة ...

مُستثمرٌ ومُستثمرٌ كل من في الحياة ...

الذين عرفوا هذه الحقائق نجلوا منها ، فتمتوها
بالاخلاص والحب ، والتعاون . الذين لم نخجلهم هذه المعرفة
نعتوها بالقوة ، والغلبة ، والنصر ...

مثل هذه الحياة لا يغريني الاندماج بابنائها ...

الذي صلاته تفكيره بتحقيق هدفه لا تشغله

اية صلاة ...

هؤلاء الذين يجلسون على التقاليد ليسوا ارفع من

المقاعد التي تحملهم ...

انهم مثلها يصمدون في وجه الفناء الى ان يتغلب

عليهم ...

المقاعد تقدم للنار وقوداً ...

وهم يقدمون للديدان غذاءً ...

الذين يعتصمون ببروجهم العاجية ، لتحمل اليهم
الافكار ، فيلقونها عقوداً ماسية منضدة بالالفاظ ليسوا
اكثر صموداً امام الفناء من هذه العقود الماسية .

هذه العقود لا تجرؤ على دخول القلوب وان زينت
الصدور ... والاعناق ... وهذه الافكار لا تجرؤ على
دخول القلوب وان زينت الألسنة ... والمكاتب !!!...
في اي شيء تريدني ان اشترك مع الناس في تشريح
جسد مريضنا الاجتماعي؟! ...

ان عددهم للتشريح غير عددي؟! ...
انهم قبل ان يرتدوا ثوب العملية الجراحية يقرعون
الطبول ليعرفهم الناس ...

ان الطبول كثيراً ما جمعت الناس ، فأثاروا الغرور
وبعثوا الشمور بالاكثفاء ، فما تنجح العملية ...
انا اكره الطبول ... لأنني اكره الغرور ...

انا اكره الثناء ... لا اني اكره الاكتفاء ...
انا احب العمل في جو من الهدوء ...
بعيداً عن كل الناس ...
بعيداً عن كل المغريات ...
الا عن المعين الذي يغذي ...
عن الذين اعمل من اجلهم ...
عن الذين احوّلهم الى افكار ...
الى الذين اصهر اجسادهم في كلام ...
الى الذين اذا تركوني وجدوني بينهم موتاً يبعث
الحياة ... وألمّا يفجر السعادة وغائباً يشعر بالوجود ...
حاولت مرة ان تقنعني ان العزلة الروحية لا تبعد
الانسان عن الحقائق المادية ...
لقد اهملت الاجابة في كل رسائلي السابقة على
هذه الفكرة .

اني اريد ان يكون لكلامي الظرف المناسب ليأخذ

مكانه من المنطق والصواب . . .

انك لو اخذت بعض كلامي من المكان الذي وضعته
فيه قد لا تجد له المعنى والهدف الذي وضعته له . . .

لو انني اجبتك في رسالة سابقة على فكرتك هذه
لأضعت الهدف ، والفائدة من الاجابة . . .

لقد مضى الزمن الذي يرفع القصيدة بيت من
الشعر خلق به واضعه . . .

نحن اليوم امام ذوق ادبي جديد . . . ينظر للغاية
من القصيدة ، ولو حدة الفكرة ، اكثر من جمال الكلمات
وعذوبة الموسيقى !!

ان الذوق الأدبي اصبح يتقبل جيداً ان تكتب له
جملة واحدة تتضمن رأياً واحداً ، وهو لا يبخل عليك
بالتقدير ، ولا يحكم عليك بالعجز . . .

ارأيت انني على حق في ان اهمل الرد على تلك
الفكرة ، وان ارجع اليها اليوم ؟ !

نعم ان العزلة الروحية لا تبعد المرء عن الحقائق
المادية ...

ان اديباً واحداً في الارض ، مهما سميت روحه
وترفعت نفسه عن المادية لا يستطيع ان يقول غير الذي
قلته انت ...

المادة حقيقة واقعة لا مفر منها ...

اقوى العوامل على تهديم كيان كثير من الأئمة ،
فضلاً عن الافراد فراطهم في احتقار المادة ، واسترسالهم
الى حد الوهم في تأليه الروح .

انا لست من الذين مع هؤلاء ...

انا اقول ان المادية يجب الا تتحكم بالمرء حتى
تجعله واحداً من الناس الماديين ...
واذا قلت هذا اعني :

ان الانسان الذي يحتقر المادية يجب الا يرجع
كل شيء مادي الى اصل رוחي ...

بالرغم من هذين الرأيين لا نستطيع ابدًا ان ننكر
وجود شكلين لـكل شيء...

شكل روحي وشكل مادي...

فالحب مثلاً يمكن ان يكون مادياً وروحياً ،
والاخلاص ، والبغض يمكن ان يكونا كذلك ايضاً
اما ان يقال ان الحب مصدره الروح ، ولا علاقة له
البتة بالمادة فهذا ما لا يمكن اقراره...

يجب ان تقر معترفين ان الحب وكل العواطف
والملاكات الروحية نتيجة لضعف...

قد تقر مغني ان الجمال على ما يتمتع به ، من صفات
روحية ، وما يوحيه من ملاكات روحية لا يبعد ان يكون
شيئاً مادياً...

ان الجمال ليس حسيًا ، وليس عاطفة... بل هو
شكل... او تناسب في اعضاء او الوان او حواس!!...
اذن الجمال مجموعه ماديات تكون جاذبية هي

المادية بعينها ...

وما يقال في الجمال الذي هو اصل الحب هكذا
يقال في الحب الذي هو ذيل الجمال ! ...
انك قد لا توافقني في هذا ،

بل قد تحتاج فتقول ان الحب نتيجة شعور ، واندفاع
وقد تذهب الى ابعد من هذا فتقول ان الحب نتيجته
عاطفة سامية تشعر بضرورة الائتلاف مع انسان آخر ،
تحصل بينهما الوحدة الروحية ، والتفاهم الفكري ، فيشعران
بالهدف الواحد !

وانت ان قلت هذا ، قررت معي ايضاً ان هذا
النحو من الحب معناه المصالحة الموحدة في التعاون المتحد ،
للهدف الواحد ...

انك كنت على حق اذ قلت ان العزلة الروحية
لا تبعد الانسان عن الحقيقة المادية ...
متى رأيت انساناً لا يتحرك شوقه للجمال احتقره ...

متى رأيت إنساناً لا ينجذب بالشهوة اهمله ...
ان انساناً لا يعرف الجمال ، ولا يعرف الشهوة هو
انسان ناقص دون شك !

كما قررنا هذا ... اقراراً بالواقع الملموس ، يجب
علينا ان نقرر ايضاً ما يلي :
متى رأيت انساناً سجين الجمال ، اسير الوله ، مجنوناً
بشخص حسن احتقره ...

متى رأيت انساناً شهوانياً ، يصرف قوته الفكرية
والجسدية بلا حد ولا ميزان اهمله .

ان انساناً يغفل عقله وتفكيره بانسان واحد ، او يهدر
صحته واعصابه في سبيل شهوة واحدة ، هو انسان ناقص
دون شك !!! ...

ان كل جمال مفرغ
وان كل شهوة مشوقة
ولكن ليس كل متحرر من الجمال معجب به

ناقصاً . . .

وليس كل متحرر من الشهوة حاكماً متصرف
بها باتزان ناقصاً ايضاً . . .

لقد ستر المرضى بالحب نقصهم باسم الحب . . .
ولم يستطع المرضى بالشهوة ستر نقصهم فسفوها . . .
أرأيت كيف ان الحقائق الروحية كثيراً ما اخذت
من الحقائق المادية ؟

ان سموك الى آفاق الروح لا يحول دون اقرارك
بحقائق المادة . . .

والكن الذين تشغلهم الاجساد . . . يكتشفون
ما فيها من مغريات . . .

فمن الجمال اكتشفوا الحب . . .
ومن القبح اكتشفوا البغض . . .
انا احب الجمال . . . اقتش عنه . . .
ابغض القبح . . . اتهرب منه . . .

ولكن ذلك كله لا يشغلني الا دقائق ...
انه يشغل جسدي ... لذتي ... شهوتي ...
لقد توزعت الحياة ... فأجدت التوزع ...
اعطيت الجسد ... جسداً ...
واعطيت الروح ... روحاً ...
انا لا اربأ بنفسي ان تنهل ما شئت مما تحب .
ولكنني اربأ بروحي ان تقيد ... بما يحب او ما
لا يحب ...

لست اناياً فيشغلني الحب ...
لست ضعيفاً فيغلي الجمال ...
انا شهواني ... اعبد اللذة ...
ولكنني لست اناياً احتكرها ...
ان الذي هياً نفسه ليشغلني بخلوته ما زال يبحث
عن نفسه ...

ان خلوتي بنفسي لا تتسع الا للأرواح ...

ان الطرف المادي من كل عاطفة لا يشغلني الا
بقدر ما يشغل الطعام من فراغ المعدة ...
هذا الطرف بل هذا النوع هو الذي يربط ما بيني
وبين ابناء هذه الحياة ...

لقد فرغت من بسط علاقتي مع الناس ...
افتراني استطيع ان افرغ في رسالتي القادمة من
بسط ما بيني وبين الفكر من علاقة .
سأحاول ذلك وارجو ان يكون هيء لك من بعدها
ما يشغلني ويبعث في شهوة الكتابة في موضوع جديد ! ..

تذكر انى وعدتك ان اتحدث اليك عن علاقتي
بالفكر...

لعلها اول مرة أعد بأن اقوم بعمل...
انا حتى اليوم ما بررت بوعد لأحد!...
انى لم ارتبط بميثاق ، ولا وقفت دقيقة من
حياتي لأحد...

انى لا املك وقتي

انا لا اعرف اي دقيقة من دقائق عمري القادمة
ستكون ملكي...

ربما حاجتي عمل فكري اشغلي عنك ، وعن اي

من الناس وعدته بعمل ما ...
اني لا افضل ايأ كان على اي من الاعمال الفكرية
التي اندفع اليها ...
ان وثبات الفكر خاضعة لوثبات الروح ...
كثيراً ما استرسل في الاحلام وانا بين جمع
يسمرون ...

انسى اني بينهم ، وانسى اني استمع اليهم بل كثيراً
ما تناول كتاباً لاقرأ لهم فاسترسل مع خيالي ، واغرق
في بحث موضوع كنت احب لو يخلو لي الجو فأكتبه ..
اني اكتبه بخيالي ، والقيه بفكري ، ولساني
ما يزال يقرأ ما في الكتاب .. فيفهم الناس ما يسمعون ،
واضل عما فهموه بما انشغل به ...

مثل هذه الحال لا تدفع صاحبها الى الايمان
بمواعيده ... لهذا يتخلص من المواعيد ...
انا لا املك ان اكون قابلاً للسمر في ساعات قد

اعدك ان اسمر معك فيها فاذا اخذتني الى اجمل حديقة ،
وجمعتني بأجل غاية ، وقدمت الى اشهى المشروبات
والماكولات ، لم تظفر مني الا باقتسامة التكلف
التي تخرج من اعماق السكوت والوجوم ...

لهذا عجبت اذ قطعت لك عهداً بأن اكتب اليك ،
وان اكتب اليك في شيء محدود معلوم الموضوع ...
انا حينما اكتب لا اتكلف ان استحضر الموضوع
او الفكرة ...

انا اجلس الى منضدتي ، واغرق بين اوراق
البيضاء ، والعب القلم كثيراً بين فكي ، وارسل ذا كرتي
الى ناحية من نواحي المدينة فتعود لي بنبأ ، او وجه ،
او حادث فأكتب ...

اما اليوم فأنا مكلف ان اكتب اليك في موضوع
محدود معلوم هو الفكر وعلاقتي به !! ...
وماذا يستطيع ان يحدثك عن الفكر ؟ !

انتي اما ان احدثك عن الفكر الذي يدور على
السنة الناس... من قادة الفكر... او ان احدثك عن
الفكر الذي يحلم به الأديب...

الحق اقول لك انني لم اعترف حتى اليوم ان المكتبة
العربية تستطيع ان تسبقني كتاباً يصلح ان يكون
رمزاً للفكر العربي...

ولا كتاباً واحداً نحن لانك منذ فجر نهضتنا
حتى اليوم!...!

انا نستطيع ان نفخر بكتب تصلح ان تكون
قواميس لغة والفاظ، وكتب سمر ولهو...

وقد نستطيع ان نفخر بوجود بعض كتب العلم
كالفقه والحديث والنحو...

وان غلونا في الفخر، فاننا قد نهدر ان نفخر بوجود
متحف ادبي علمي يضم خير ما يجدر بالمتاحف ان تضم
للفرجة لا للتناول.

ان الشعر العربي ، والنثر العربي ، ليسا اكثر من مدائح ،
ومهاجاة ، واحاديث يراد بها ارضاء اصحاب السلطة
الدنيوية او الدينية ...

حتى اليوم لم أعر على شعر يمثل طبقة من الطبقات
الشعبية في اي عصر من عصور الفكر في التاريخ العربي ...
ان شكاوى البائسين ، والمسلوبين الذين كانوا
يخضعون لرؤساء العشائر ، وأمراء القبائل ، والملوك ؟ !
ان شعر الارقاء ، من رجال ونساء واين شكاويهم
وحبهم للانعقاد ؟ ! ...

ان الفكر العربي لا بد ان يكون نتج من هذا
ما لم يصل الى متناول ايدينا ، بل ماضن اصحاب الغايات ان
يصل الى ايدينا ...

ان حقيقة الفكر العربي لم تظهر بعد ...
ان العرب اصبحوا يعرفون عن ارباب الفرس
واليونان ، وعبادات من سبقوا المسيح بألاف السنين ،

وليس في العرب من يعرف عن اللات والعزى اكثر
مما جاء عنهما في القرآن ؟ ...

ان كثيراً من آلهة المصريين تجددت حياتهم ، وبعثت
اجسادهم ، وكشفت طلاسمهم ، وليس بين ايدينا نذريسير
عن اله عربي واحد كان يعبد في الجاهلية لنعرف كيف
كان يعبد ذلك الاله ، واي شعور كان يغمر عابديه ،
ومدى الايمان الذي كان يندفع به المؤمنون

لم يتبدل شيء منذ التاريخ الاول في عادة العرب .
العرب جبناء امام الفكر ، اقوياء امام الموت ...
العربي يستطيع ان يجابه الليث ، وان يصمد امام
صراع اضخم الثيران ، ولكنه لا يستطيع ان يثبت امام
بيت من الشعر يقال فيه ، او امام قصة لا تلائم ذوقه ،
ولا تتفق مع ميله .

حتى يومنا هذا يعاني قادة الفكر الامرين من
جراء مخلفات هذا الضعف ...

حتى هذا اليوم يخاف العربي ان يمس دينه بكلمة ،
او ان تمس تقاليد بنقده ، او ان تطول يد الى عاطفته
فتجرحها .

لهذا ينظر الى قادة الفكر في حذر ، ويراقب وثبات
الارواح في حرص ، ويحاسب على الصغيرة والكبيرة من
الافكار المتطرفة . . .

ان خزان رجل الفكر في بلادنا ممتلئة بما لا يستطيع
ان يقرأه على غير نفسه

ان قصائد كثيرة تصور ابد ما يستطيع شعور
صادق ان يتصوره في اللذة او الشهوة او الجسد ، ما زال
مطوية في مكاتب اصحابها لانها تخالف الآداب ،
وتعرض الاخلاق الانهيار . . .

وان مقالات وقصائد واقاصصاً كثيرة مطوية في
خزائن واضعها ، كلها تمثل نواحي كثيرة من الانحطاط
السياسي ، او الاجتماعي في البلاد ، يخشى اصحابها ان

نشروها ان يمسهم بسوء من ييدهم الساطة .

ان الدين حتى اليوم عاجز عن حماية نفسه ،
والاخلاق حتى اليوم عاجزة عن حماية نفسها ، واصحاب
السلطان حتى اليوم عاجزون عن فرض مهامهم عن
طريق المحبة ، وادعاء الوطنية والقومية حتى اليوم يخافون
تيارات التطور الفكرى في الازكيا .

لهذا يغفل الفكر ويسجن ، ويقام القانون
حارساً عليه ، لئلا ينفلت من اغلاله ويعيث في اصحاب
المصالح فساداً . . .

من هنا نشأ عندنا ادب منتن هزيل ، وادباء منتنون
هزيلون .

هكذا اصبحنا لانرى في الميدان الا الذين يعبدون
انفسهم . .

قليلون هم الذين يضحون بسعادتهم في سبيل
افكارهم . .

انا لا احدثك عن اولئك الذين تقوى فيهم ملكة
الخيال ، فتقدم رجولتهم امام الحقائق المادية ...

انا لا احدثك عن اولئك الذين اصبحوا اغرباء عن
الواقع لانهم سكنوا العالم الوهمي ، ولم يعد لهم انتاج الا
من ندى ذلك العالم الوهمي ...

انا لا احدثك عن هؤلاء الذين اصبحوا كالأطفال
امام حواجز التفوق ، والتكون ؛ بل احدثك عن الذين
ارادوا انفسهم قرايين في سبيل افكارهم ، وضحايا في سبيل
مبادئهم ، واطبـاء لشعبهم يلقحونه بدمهم ، ويفـذونه
بحياتهم !!

هؤلاء هم الذين احدثك عنهم ...
وهؤلاء هم الذين نفتقد في الليلة الظلماء فما نجد
انوارهم ...

تسألني عن الفكر ، وكيف احدثك عن الفكر
وحاله كما ذكرت ؟ ! ...

ان الاديب الاجتماعي المصلح ، اصبح يفتش عن
موضوع يكتبه ، كما يفتش الفقير الجائع عن لقمة يسد
بها رمقه !!!...

ان مواضيع الحياة كثيرة... وكلها تصلح ان
تكون شاغلا للفكر...

ولكن من ذا الذي يجسر ان يتناولها في بحث ،
او ان يتعهدا بعناية...

ان الذي يرى الاغلال تنتظره لاشك انه يختار
الطريق المنقذة منها !!!...

لم نعد نخاف الاغلال...

بل اصبحنا نخاف ما هو اشق من الاغلال .

لقد اقام كل ثري ، او وجيه ، او منتفذ نفسه مقام
السلطة والحكومة في مراقبة رجال الفكر...

الذين يملكون قيمة ما نكتب لا يروق لهم ما
نكتب...

والذين لا يملكون قيمة ما نكتب لا يستطيعون
تشجيعنا على ان نكتب ...

ارأيت كيف انسا نعاني من هذا الفكر ما لا
يعانيه السجين البري من الم العسر على كره .

انني كلما دخلت ناديا ، او مقهى ، اجسد اناسا
يبحثون في الالم ، ويشيرون في الحقد ...

ارى السنة تدور بآراء ، وافكار ، لو نشرت لكانت
علاجات شافية لما نعانيه من امراض ...

ان هذا الجدل ، وهذه الافكار تتموج مع النسيم
ولا تلبث ان تحط رحالها مع الندى على الزهور ...
لو اننا تمهدناها لأينعت ، بل لأعطتنا خير
الورود ، واعطر الزهور ...

لكن الاهمال يبخرها ، ويلاشيها في قلب الاثير
فما تفيد ولا يستفيد منها اصحابها الا افراغ هذا الالم الذي
يعانونه ...

ان الافكار حمل ثقيل على الروح ...
الذين يفرغونها في احاديث ، يتخلصون من اعبائها
دون ان يستثمروها !!

انهم يعلنون عن استعداد ، ولكنهم يفضحون
ما هم عليه من خوف ...

كثيراً ما فكرت ان اجمع هؤلاء الذين يفكرون
لا أجمل منهم قوة ...

القوة هي صاحبة الحق في محيط كهذا المحيط
الذي نعيش فيه ...

ان طلقات المدفع تساوي عند كثيرين كل ما
قاله احكم حكيم

لهذا اردت ان الجأ الى القوة فأسلح بها الفكر ،
ليتمكن من فرض نفسه على الحياة ؟ ! .

ولكن استطيع الفكر ان يتكفل ليؤلف القوة ،
وهو الفوضوي الذي لا يتألف حتى مع جسده ؟ ! ...

ان صاحبه لا يملك حق توجيهه او اخضاعه
للمواقيت ، فكيف يستطيع غيره توجيهه واخضاعه
للمواقيت ؟! ...

حاولت ان احرص الذين اعيش من اجلهم بفكري
على سماع ما يقال عنهم ... على ما يسيطر من العلاجات
لهم ... على تعويدهم ان يقدرُوا الذين يناضلون في سبيلهم ،
على الاقرار بجهد الذين وقفوا حياتهم لانقاذهم ..
ولكن ايرضى الجاهل ان يعود صاحبه غير ما اعتاد ان
يدخل بواسطته السامة الى نفسه .

ان الذين نعمل من اجلهم جهلاء ... اميين
لا يستطيعون ان يفهموا ما نقول ...
ارأيت ان حال الفكر في بلادنا جدمؤلمة ، وان
صاحب الفكر جدمضطهد بعقله ومعرفته ، وطموحه ؟ ...
لقد حاولت ان اعرف كيف يعيش هؤلاء الذين
هم عائشون بأدبهم ؟! ...

انني لم انجل من اخفاقي حينما حاولت معرفة ذلك...
لانني عرفت اخيراً انهم لا يعيشون بادبهم...
وانما يعيش ادبهم بهم!!

انهم ليسوا ادباء... لانهم ليسوا اصحاب فكر ،
ولا مبدأ ، ولا غاية اجتماعية يسعون اليها...

انهم اصحاب اقلام... انهم اصحاب اساليب ، انهم
مالكوا قرطاس... انهم حكماء مطامع ، انهم اصحاب
مراتب ومناصب وشهادات...

انهم اوثان... لهذا هم يجدون الوثنيين من القراء
فيكونون لهم ادباً كله لغو ، وحشو... وكلام...
ان اذواقنا الادبية في مفترق الطريق...

ان الفكر امام الهاوية...
نستطيع ان نركله فيقع ويموت...
ونستطيع ان ننقذه فيحيا ويفيد...
انني وان هويت سأفكر ، وانتج في الهاوية...

انا لا يهمني ان اعلن ما افكر ...
انا لا يهمني ان يقرأ او أن لا يقرأ ما انتجه ...
انا اشعر انني احمل عبئاً ثقيلاً يجب ان اتخلص
منه ...

هذا العبء افرغه في فكر ...
سأظل افرغه الى ان القى هذا العبء عن كاهلي .
واحمله الذين يسألون عن انارة القلوب كما يسألون عن
انارة الطرقات؟! ...
هكذا ... هكذا ... والى ان يتربع الفكر
عرشه سأظل ا كافح ، ... ولو وحدي ...
ان الانفراد عزلة تبعث وحيماً اقوي ...
لهذا سأفرد ... واناضل الى ان يحيا الفكر ...
ويبلغ رسالته ... فيفيد ويستفيد ...

- او ما ترحب بي
- روجي كالطبيعة تحتوي بلا ترحيب
- او ما تشوقت الي ؟!
- من انت
- انا الذي ناشدته ان يحضر
- وقد بت اناشده ان يغيب ...
- اراك لا تستقر على رأي
- انا احب ... الى ان اكره ...
- لهدا أنت على ما انت ؟
- بل لهدا أنا كاره ما ابلغه ...

- فماذا انت صانع بي ؟
- ممتص بقاياك ...
- الى ان اصبح ماذا ؟
- الى ان تصبح احرفاً في كتاب الذاكرة.
- ثم ماذا ؟
- ثم القيك جسداً لا تستحق العناية !
- واكنتي نتاجك ...
- واولادي نتاجي ... وهم مثلك ...
- ولكنهم ابناؤك على كل حال
- في عرف الناموس ...
- وفي عرفك ؟
- نتاج جهد ...
- نتاج الجهد جزء من الروح ..
- حتى املك الروح ... املك نتاجي ..
- انت لا شخصية لك !

- لأن كل شخص مرآتي ...
- هذا خيال ...
- كل حي في نظري خيال ...
- فأين الحقيقة ؟ ...
- في نتاج الخيال ...
- من يحمل حصادك ..
- الطبيعة ان تزوجت .. والأرواح ان كتبت ...
- فماذا تستفيد ...
- اللذة من جهاد الجسد . . والقاء التبعات من
- جهاد الروح ...
- انت لغز ...
- كل المثاليين الغاز عند الحساد .. مجانين عند
- الجهال ...
- فكيف يحل لغزك ...
- اذا لقح بالانغاز من اعمال المثاليين !

- تدعو الي تأسيس الشركة ؟
- كل ما في الوجود شركات ...
- اشغلتني نفسك ...
- انت شاغل نفسك ...
- اريدني مبتدئاً لما جئت من اجله
- حبذا لو كتته ... فانا لو لا ان اكون اخيراً في
- الخلق ، ما عرفت الاول في الخلق ...
- قرأتك في رسائلك ...
- بل قرأت الاديب ...
- اما كتبت نفسك ...
- بل كتبت المرأة ...
- انا مرأتك ...
- بل انت اما ... لان كل باعث فكرة في جزء
- مني ...
- اقرأ ... « يدفع اليه كتاباً »

— ما هذا... « يأخذه منه وينظر فيه »

— مأخذ عليك...

— في ماذا؟!...

— في رأيك؟!...

— « يقرأ »...

انت ناقم على ذويك...

ناقم على نفسك

ناقم على صبيك

ناقم على مجتمعك

ناقم على قانونك

ناقم على ادبك

ناقم على جهادك وجهاد المجاهدين في الحقل

الاجتماعي !

انت نقمة على النقمة نفسها...

انت تريد... مالن يكون... ولست قانعاً

بما هو كائن! ...

« يطوي الكتاب ويرده اليه »

— خذ محيطك ...

— هذا رأيي ...

— بل صورة المحيط!

— انه مرآتك ...

— انا لا اخجل من صورتي ...

— ولكنك ناغم عليها ...

— نقمة الجمال على عابديه ... لا نقمة القبح

على خالقه ...

— فكيف ننقلب ...

— في تمزيق كتابك ...

— فماذا اقدم اليك؟

كتاباً جديداً تقول فيه :

انت مصلح ذويك ...

انت مصلح صبيك ...

انت مصلح مجتمعك ...

انت مصلح قانونك ...

انت مصلح ادباك ...

انت مصلح جهادك وجهاد المجاهدين في الحقل
الاجتماعي ...

انت اصلاح للاصلاح نفسه

انت تريد ... ما يجب ان يكون ولست قائماً

بما هو كائن ...

نخذ عدتك من نعمتك ... من تبرمك بنفسك ...

وسر ... فالهدف ينتظرك ...

لأنك الأنشودة التي يجب ان تردد امام قافلة

الساعين ... الى الهدف ...

— ان مجرد تقرير الحقيقة لا يكفي ...

— لم اخل بأبائها ...

— انت مضال من تحصن بالقناعة ...

- ايعنيك ان لا اضلل ...
- ليس اديباً من لا يهدي
- هل انا الا حامل المشعل ...
- بل والداعي الى ما قنعت انه نور ...
- اراك تعترف بما كفرت به ...
- ولكنني لم اجد سبيلاً الى انوارك ..
- لأن ليس في اعماقك نور ...
- ولكنك نور منعمور بالخاوف ...
- بل نور مجرد عن المنافع ...
- اقول المخاوف ...
- هل التجرد الا مخاوف ...
- فكيف بلوغك ...
- بالعري ...
- العري ضعف ...
- وبالايمان ...

- الايمان اندفاع ...
- وبالشخصية ...
- الشخصية تحجر ...
- وبالكثرة ...
- الكثرة؟! ...
- ما لك أرتج عليك ...
- لا اعرف ما تستحق؟! ..
- انا اقول لك
- هات ...
- الكثرة مع العري ، والايمان ، والشخصية قوة
تثبت الصالح ...
- والكثرة مع الضعف ، والاندفاع ، والتحجر؟
- قوة تؤيد الواقع!! ...
- هذا نضال ...
- بل ادب ...

— فأنت اديب ...

— بل سياسي ...

— بعثت مناقضاتك الحيرة ! فماذا تريد ؟

— اريد ارجلا لهذه الادمغة ... واجساداً لهذه

الاحلام ... واسلحة لهذه الآمال

— وكيف السبيل الى ذلك

— الذي يريد نفسه ... ينفرد بوحيا ... وينسى شعبه !

والذي يريد شعبه ... يستوحي منه ...

ولا ينسى نفسه !

— الآن عرفتك ...

يا من تدعي معرفتي ... انا الذي عرفتك لا انت ..

يا من اقمعتني بوجودك ولا وجودك ..

عرفتك من بعيد إبرة في وجداني الغافل .

فأيقظته

وابتسمت

إن أبعد العوامل أثراً في روعي تلك الابتسامات
التي يجابه بها أهل الباطل كل حقيقة ...

إمام هذه الابتسامات يسكت الحق ...

إنه يعرف أين هو
أنه يدرك أنه حقيقة !
ولكنه ...

يدرك أيضاً أنه لا يستحق الحياة
لأنه لا يقوى على التسليح بأسلحتها

إلى أن تعرف أنك ظل للحقيقة لا الحقيقة نفسها
سأسكت ...
واتناساك ...

واطوي ما بنفسني

ولن أنتظر على نافذة اليوم المطلة على الغد
فأنت أبعد من الغد ...

بل أنت أبعد مما بعده ...
 بل قد لا تكون حقيقة منتظرة ...
 لأن ليس ما ثبت وجود الحقيقة كتحقيقها ...
 ان مجرد الشعور بالهدف والتحدث عن ضرورة
 بلوغه لا يثبت حقيقة صلاح ذلك الهدف ...
 لقد انشدنا منذ آدم حتى اليوم ما لا يحصى من
 انعام الطموح ...
 فظلت اناشيدنا اناشيد ...
 ثم تحولت الى مزامير ... ثم الى ... فالى ...
 وستتحول ...
 ولكن شيئاً واحداً اذا لم يتحول لن احاول ان اراك
 هذا الشيء هو الستار الاسود الذي يبسطه امسك
 على يومك ، فيحجب عنك منارات غدك ...
 ايها البعيد القريب
 يامن جلت بي كل بقعة من ارض حياتي

لو استطعت ان تمنعني الآن بعدما وقفت بي امام
هشيم امسي ان لا غد لي لتحاولت الى موكب لا يحمل
الا جسدي مائدة للفناء . . . فاننا لا اؤمن ان الدقيقة التي
تنكشف في كف الدهر تستطيع ان تشعرني بالفناء ،
وانما اؤمن أنها تستطيع ان تدق جرساً تنبهني به الى
الدقيقة التي ستليها . . .

كما سيتحول ما ذكرته في به الى سطوراً كلها اصابع
العامل وراء الآلة ، والى كلمات يخطها اليراع بالنفط
على عاطفة الجماهير ، هكذا ستتحوّل ايامي السالفة الى
مشعل يضيء امامي السبيل الى الغد ، ذلك الغد الذي
يبكيك ولا يبكيكني ، لأنني ابدأ لا اشعر انني محط
الم أنا مسؤول عن مصدره ، بل ابدأ ودائماً اشعر انني
محط الم أنا مسؤول عن ستره ، ومواراة سواته ...

فسر ايها الرفيق المجهول في
الطريق المجهولة

إن شمس الروح في الجسم المظلم اذل

على السعادة الشاملة من الابتسامة

المشرقة على شفاة الناعمين . . .

لنترك الضحايا تتكتل . حتى تعجن منها الأيام

والمصور اكبر طينة لأشبح الجبال ؛

ثم فلنجلس على القمة حيث ينفجر البركان . . .

فالويل للغد من شظايا الضحايا . . .

والويل لك مني ايها الرفيق . . .

لأنك ضممتني الى البكائين ؛

وجعلت رسائي اليك دموعاً

دونها كل الدموع . . .

لقد ابغضتك اذ عرفتـك ، واحببتك اذ عرفت

بك نفسي . . .

كنت اشك انني احمل النار التي نثرتها في ذاكرتي . . .

لن اطفى النار ، ولن تطفئها انت . . .

حتى المصاحون الذين قد يحققون ما اطمح اليه ان
يطلقوا نار اعماقي ...

ان النار التي احملها لا يطفئها الا المثل الأعلى الذي
اشك بوجوده ...

وسأظل اشك بوجوده ما حييت ...
لأنني اراه مجزرة المولدين بانواره ، والمؤمنين
بقدميته !!! ...

احببتك ... وسأحبك ...
لأنك لست الاديب الذي اوحى الي ...
بل القلم الذي كتبت به ذلك الاديب ، ..
فاطفئ سراج الذكريات ...
فان اشقى ساعات العمر ، تلك التي تعيد ما نضده
الماضي على مائدة الحاضر التعميس ، دون ان يهيء الطبيب
... الطبيب ...

إذا انبسط النور ...
 ولم تقو عيناي على تحمله اشعاعه ...
 لا تقولوا عمي عن الحق ...
 فان كثيرين عيونهم في اعماقهم
 بل رددوا معي نشيدي الدائم ...
 « من قلب الظلام انبعث النور الخالد ... »
 لتصنعوا الحقيقة ...
 بل لتصنعوا الحق الهضيم ...

٩٤٤ / ١٠ / ٢٥

« عنوان المؤلف »

حلب : عبد الرحمن ابو قوس - مكتب المراسلة والاخبار

تلفون رقم : ١٧ - ٠ - ٨



ابو فوس ، عبد الرحمن

رسالة الاديب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038803

American University of Beirut



General Library

892.71

A162v1A